# القسم الرابع ـ الاصلاح التربوي في كوبا
## دراسة لحالة اصلاح تربوي في ثورة جماهيرية

الثورة الكوبية من أسفل وتندرج تحت النمط الأول نمط *"الثورات الشعبية الاجتماعية"* وقد أستطاعت الثورة فيها أن تحدث تغيرات عميقة في البنية الاجتماعية والثقافية. وقد كان للتربية في تجربة الثورة في كوبا مكانة خاصة مميزة. فقد فهمت القيادة الكوبية التربية منذ السنوات الأولي للثورة فهما واسعا، فحاولت دمج عمليات التربية بعمليات الثورة حتي أصبحت كوبا - علي حد قول - كاسترو - مدرسة كبيرة واحدة، يتم فيها تعزيز التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الراديكالية بتربية جماهيرية تعلم جميع الكوبيين في كل الأعمار المهارات والسلوكيات الضرورية لتأمين بقاء الايديولوجية القائدة الجديدة (R. Paulston 1971: 376). لقد اعتقدت القيادة الكوبية تماما أن التربية عنصر حيوي في خلق قيم اجتماعية جديدة. بل أن الثورة نفسها كانت بالنسبة للقيادة الكوبية - كما يقول كاسترو - *"ما هي الا عملية من عمليات التربية قد نظمت بدقة عالية فالتربية والثورة شيء واحد"* (*F. Castro Quoted in Fagen 1969: 2*).

فما هي جهود الاصلاح التربوي التي قامت في كوبا؟... والي أي حد نجحت هذه الجهود في ارساء نظام تربوي جديد يسهم بفعالية في تحقيق الأهداف الجديدة التي تسعي اليها الثورة؟... وما هي الظروف الموضوعية (أو المتغيرات) التي حددت أو مكنت من نجاح جهود الاصلاح التربوي في كوبا؟

ومحاولتنا في الاجابة عن الاسئلة السابقة لا تهدف الي تقديم ما تم في كوبا كنموذج يقتدي به في الاصلاح التربوي في العالم الثالث، بل تهدف أساسا الي توضيح العلاقة الوطيدة بين نمط الاصلاح التربوي ونمط التغير الاجتماعي وذلك للكشف عن الشروط الموضوعية الكامنة التي تحدد عملية الاصلاح وتشكلها.

وتأتي دراسة كوبا في ثلاثة أجزاء فرعية: الجزء الأول ويتناول الثورة في كوبا ليناقش الأوضاع الاجتماعية والتربوية قبل الثورة ثم طبيعة الثورة ومتغيراتها. أما الجزء الثاني فيناقش جهود الاصلاح التربوي في كوبا ويعرض لجوانبه المختلفة الكمية والكيفية وفقا للمؤشرات النظرية التي سبق عرضها في هذه الدراسة أما الجزء الأخير فهو مخصص لعرض نتائج الاصلاح التربوي، وتقييمه وفقا لمبدئي التناظر (أو التوافق) والتناقض، حتي نقف علي درجة نجاح وراديكالية جهود الاصلاح في كوبا في ضوء متغيرات الثورة والاصلاح التربوي.

## أ - الثورة في كوبا

### ١ - التربية والمجتمع قبل الثورة في كوبا:

خضعت كوبا لسيطرة الولايات المتحدة الامريكية بعد خروج الأسبان منها في أوائل القرن العشرين فقد رأي كبار العسكر الكوبيين وعلي رأسهم باتستا - أن خير كوبا هو في اعتمادها علي الاستثمارات الامريكية سواء كان ذلك في صورة قانونية (مثل شركات

السكر الأمريكية الكوبية) أو بصورة غير قانونية (مثل أعمال القمار ومؤسسات التجارة والدعارة)ولذلك كان اقتصاد كوبا في ذلك الوقت اقتصاداتابعا ضعيفا. وكانت الاوضاع الاجتماعية متردية قائمة علي الاستغلال. كان هناك قلة لم يتجاوز عددها بضعة آلاف تمتلك وحدها أكثر من نصف مساحةالأراضي الزراعية (٨٪ من مجموع الشعب يملكون ٧١٪ من مساحة الأراضي الزراعية، بينما كان يملك ٧٠٪ من صغار الملاك ١١٪ فقط من مساحة الأراضي الزراعية). وقد بلغت الأمية ٢٣٪ من مجموع السكان، ودهم السل ٢٠٪ من السكان وبلغت الاصابة بالتلوث ٩٥٪ من مجموع الأطفال (Carnoy 1979: 40).

وقد انعكست التبعية الاقتصادية وسوء توزيع الدخل، وسيطرة نمط الثقافة الأمريكي علي الحياة اليومية علي التربية، في شكل نظام تربوي هزيل وظالم في توزيع الفرصة التعليمية. فقد حرم الريف من الفرصة التعليمية المتساوية. فبالرغم من أن سكان الريف يشكلون ٥٥٪ من مجموع السكان في كوبا فلم تكن المدارس تتسع هناك الا لثلث عددهم فقط. أما بقية السكان فقد حرموا تماما من أي تعليم. وعموما فقد كانت نسبة الاستيعاب علي المستوي الوطني ضئيلة، حيث كان استيعاب المرحلة الابتدائية في عام ١٩٥٦/٥٥ لا يتعدي ٥١٪ من مجموع الاطفال في عمر هذه المرحلة. وبينما حرم أبناء الطبقات الدنيا من الفرصة التعليمية المتكافئة، فقد وجد أبناء الطبقات العليا فرصتهم كاملة في المدارس الخاصة في كوبا وخارج كوبا - في الولايات المتحدة الأمريكية - كما كان التعليم في مجمله يهدف الي تنمية قيم وطموحات تتكيف مع أوضاع التبعية السياسية والاقتصادية (R. Paulston 1971: 387) ومن الناحية المعرفية فقد كان

تعليما قائما علي النقل والاستظهار. كان تعليما تقليديا تهدف مناهجه الي ترسيخ بنية العلاقات الاجتماعية الظالمة التي كانت موجودة قبل الثورة.

## ٢ - طبيعة الثورة والتغير الاجتماعي في كوبا:

لقد كانت التبعية والتفاوت الطبقي، ونظام باتستا الديكتاتوري وقمعه وقهره للانسان الكوبي من دوافع قيام الثورة الكوبية. وكانت الشروط التاريخية مواتية هناك لقيام ثورة شعبية من أسفل يضطلع بها الشعب كله مع قيادته الثورية. فقد كان النظام الكوبي رغم كل هذه الأوضاع السيئة اقتصادا رأسماليا متخلفا بفضل سيطرة النموذج الرأسمالي الأمريكي علي زراعة وصناعة السكر. وكانت الطبقة العليا طبقة مالية، لا تتحدد هويتها بالأرض أو بالمكانة الاجتماعية بل بالنقود. ومن ثم كانت أكثر تقدما من مثيلاتها في بلدان أمريكا اللاتينية. وكذلك كانت الطبقات الدنيا، فكانت هي الأخري أكثر حراكا من مثيلاتها في أمريكا الجنوبية. فقد كونت الطبقة العمالية ١/٥ عدد السكان وبلغ عدد أعضاء النقابات ١,٢ مليون عضوا في عام ١٩٥٥ وكان عدد العمال الزراعيين في قطاع الزراعة يمثل٦٣٪ من القوي العاملة في هذا القطاع، وكان عمال الصناعة يشكلون ٢٠٪ من مجموع القوي العاملة بشكل عام (M. Carnoy 1979: 10 - 20). وبفضل هذه الدرجة من التقدم في التكوين الاجتماعي، نجد أن هذه الجماهير العريضة حظيت بدرجة من الوعي والتماسك أكثر من غيرها في مجتمعات أخري (DeGre', 1974: 46). أما عن الطبقة الوسطي فقد وجدت نفسها بين رحي هذا الانقسام الطبقي

الشديد بين تلك الشرائح العليا التي ارتبطت بالاقتصاد الأمريكي ارتباطا مطلقا في التجارة والصناعة وبين كبار المهنيين، من جهة وبين هذه الطبقات الدنيا التي ترى خلاصها في مجتمع جديد متحرر من الاستغلال والقهر والتبعية ونتيجة لذلك تذبذب انتماء أفراد الطبقة الوسطي بين أطراف الصراع، وتعددت توجهاتهم الاجتماعية، وتنوعت أفكارهم (Manitaz 1973: 11). وكانت هذه الطبقة علي أي الأحوال هي الأكثر حركة والمؤهلة لحمل الايديولوجيات الثورية (الأنشطة الفكرية والنظريات الاجتماعية والسياسية) ونقلها الي الجماهير. وجاء التحدي بالفعل لنظام باتستا القائم من شباب هذه الطبقة وكان كاسترو واحدا منهم . بل أن حركة يوليو ١٩٥٨ نفسها في كوبا، قد انطلقت في بدايتها علي يد تجمع ثوري من بين أبناء هذه الطبقة الذين ضاقوا ذرعا بتسلطية نظام باتستا وفساده وتبعيته (DeGre' 1974: 44) وسرعان ما ألتفت حولها جماهير الشعب المناضلة من الريف والحضر ومن النقابات العمالية، ومن التجمعات السياسية المختلفة. وقد شهدت كوبا خلال السنوات الأولي من الثورة تحولا ايديولوجيا من الليبرالية الي الاشتراكية، وقد تم ذلك بفضل تزايد نضال تلك الجماهير الثورية، وخاصة تلك الجماهير المنظمة في الحركة العمالية والنقابية، الأمر الذي مكن قيادات شعبية ماركسية من الوصول الي مناطق النفوذ في الثورة (DeGre' 1974: 45 - 6).

وبسيطرة القوي الثورية علي الحكم في يناير ١٩٥٩ بدأت حلقة من التغيرات الثورية في المجتمع وشرعت الجماهير في عمليات التغير. وقد تزايد الصراع الداخلي والخارجي حينما أعلنت قيادة الثورة انتقاداتها للملكية الخاصة في الانتاج ولعلاقة التبعية مع الولايات

المتحدة الأمريكية. وحاول القطاع الخاص خلق كثير من المشكلات وخاصة بعد التأميم والاصلاح الزراعي وفي عام ١٩٦١ أعلن كاسترو علي الملأ الاشتراكية الماركسية وأعلن تكوين الحزب الشيوعي الكوبي(Dahlman 1973: 27 - 29).

لقد كان التغيير هو التوجه الأساسي للثورة في مجالات المجتمع فذهب نظام ملكية الأراضي الذي كان معمولا به قبل الثورة، وأصبحت المزارع اما جماعية أو تعاونية. وأصبح مجموع الأراضي الزراعية ذات الملكية الخاصة لا تتعدي ٣٠٪ فقط من كل الأراضي الزراعية بحد أقصي ٦٧ هكتارا للأسرة. وانتهي نظام المشروع الخاص في الصناعة. وتولت الدولة شئون التربية واعيد بنائها وقضي علي الأمية نهائيا، وانتهت سياسة باتستا وحلت محلها سياسة كاسترو والحزب الشيوعي. واسبدلت بالتبعية للولايات المتحدة علاقة خاصة مع الدول الاشتراكية. وفر أكثر من ٥٪ من مجموع السكان من كبار المهنيين والمتخصصين الي الولايات المتحدة الأمريكية بعد الثورة مباشرة. وتغير تماما نسق المكانة الاجتماعية والثواب والعقاب، ونسق التعزيز الاقتصادي تغيرا تاما. وتحققت سياسة قومية لتوزيع الدخل توزيعا عادلا في مقابل أوضاع الظلم والاستغلال واللامساواة التي أدت اليها سياسة التبعية. وتحققت عمالة كاملة وقضي علي البطالة كلية عام ١٩٦٤ وخفضت الايجارات وتكاليف الكهرباء والخدمات العامة (Mesa - Lago 1971: 281 - 283 & M. Carnoy 1979: 10 - 20) وكما يقول فاجين لقد تغير كل شيء تماما في كوبا ولم يتبق شيء سوي الاعتماد علي محصول السكر، وذلك الاعتماد الذي حاولت الثورة تغييره خلال الستينات ولم تنجح (Fagen

| المؤشرات | قبل عام ١٩٥٢ | عام ١٩٧٦ |
|---|---|---|
| السكان | ٦,٨١٢,٠٠٠ | ٩,٥٠٠,٠٠٠ |
| معدل الأمية القومي | ٢٣٪ | ٣٪ |
| نسبة الاستيعاب في المرحلة الابتدائية | ٥٥٪ | ١٠٠٪ |
| المقيدون في التعليم الجامعي | ١٦,٠٠٠ | ١١٧,٠٠٠(٧٨/٧٧) |
| عدد الجامعات الخاصة | ٤ | صفر |
| المقيدون في تعليم الكبار | ٤,٢٠٠ | ٨١٠,٠٠٠(٧٨/٧٧) |
| عيادات العلاج في الريف | صفر | ٣٣٦ |
| مدارس الطب | ٢ | ٤ |
| معدل تخرج الاطباء | ٣٠٠ | ١,٣٥٠ |
| مدارس التمريض | ١ | ٣٤ |
| معدل تخرج الممرضات | ٨٠ | ٥٠٠ |
| معدل الحياة المتوقعة | ٥٥ | ٧٠ |
| البطالة بين المدرسين | ١٠,٠٠٠ | نقص في المعلمين |
| مجموع المقيدين بالمدارس | ٨١١,٠٠٠ | ٣,٠٥١,٠٠٠ |
| انتاج الكتب | صفر | ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ |
| عدد الكتب لكل فرد | ٠,٥ | ٤,٠١ |
| مجمل ميزانية التعليم | ٧٩,٠٠٠,٠٠٠ | ٨٧٤,٠٠٠,٠٠٠بيزوز |
| نسبة المقيدين من العمال بالجامعات (لمجمل الطلاب) | صفر | ٥٠٪ |
| المراكز المتخصصة في البحوث | صفر | ١٥٠ |
| البطالة بين العمال | ١٦٪ | نقص في الأيدي العاملة |

Sources : Paulston (1977 :4)

جدول رقم (١) : « بعض المؤشرات الكمية في التغيير الإجتماعي والإصلاح التربوي في كوبا »

(3 :1969. والجدول (١) المرفق يبين بصورة رقمية تطور الأوضاع

الاقتصادية والاجتماعية والتربوية بعد الثورة.

### ٣ - متغيرات (أو محددات) الثورة الكوبية:

ان هذه التغيرات أو التحولات الاجتماعية العميقة والواسعة التي احدثتها الثورة في كوبا قد تمت وتحددت من خلال متغيرين أساسيين:

ـ *الايديولوجية الثورية* التي أخذت بها الثورة - الايديولوجية الاشتراكية.

ـ *المشاركة الشعبية* أو التعبئة الجماهيرية التي قامت عليها الثورة.

والمتغيران متداخلان ومرتبطان معا بوقائع التغيرات الاجتماعية، في علاقة دينامية تحدد طبيعة الثورة وامكاناتها. فالايديولوجية الثورية التي أخذت بها الثورة في كوبا هي الايديولوجية الماركسية. وهي ايديولوجية تتجه بدرجة عالية نحو التغير الاجتماعي الراديكالي وقد أوضحت هذه الايديولوجية منذ البداية ثلاثة أهداف رئيسية تحدد اتجاه التغيير: تحقيق المساواة، التخلص من التبعية، تحقيق معدلات عالية من التنمية والقضاء علي البطالة. وقد أبرزت هذه الايديولوجية في الواقع الكوبي فكرة "*النضال لتحقيق هذه الأهداف واقامة* مجتمع "يوتوبي" جديد. والنضال يتطلب بالضرورة تعبئة جماهيرية. فتعبئة الجماهير ومشاركتها هو الذي يجعل من النضال قوة فعالة ملموسة. ووضوح الأهداف هو الذي يجعل للنضال والكفاح اليومي عمومية في العالم المحيط. النضال انن المطلوب هو نضال الجماهير الواعية المنظمة. وهنا تضع الايديولوجية الثورية في كوبا مسألة تعبئة

الجماهير ومشاركتها كهدف ثوري، وكاستراتيجية لتحقيق أهداف الثورة الثلاثة في نفس الوقت.

كانت التعبئة الجماهيرية هي استراتيجية الثورة في مواجهة العدوان الخارجي، وتحقيق الاستقلال السياسي لكوبا. كما كانت التعبئة الجماهيرية أيضا هي استراتيجية الثورة في بناء الخطة ومناقشتها في كل موقع من مواقع العمل والحياة، حتي ينخرط الجميع فلاحين وعمال وطلبه ومثقفين في الحياة الاقتصادية للمجتمع وحتي تستثار الجهود الجماعية من أجل رفع الانتاج:(M. Carnoy 1979 .55)

## ٤ - التطبيع السياسي في كوبا في ضوء متغيرات الثورة:

لم تكن التعبئة أو المشاركة الجماهيرية من أجل الانتاج أو التخلص من التبعية فحسب بل كانت أيضا عملية تربوية واسعة النطاق - كانت التعبئة من أجل احداث تغير ثقافي في المجتمع الكوبي، من خلال تحول الايديولوجية الثورية من مستوي المدركات والمفاهيم أو النظريات الاقتصادية والاجتماعية المجردة، لتصبح نماذج معرفية وأنساق تمثل بين الجماهير. وهذه العملية نفسها ما يسميها فاجن Fagen بالتطبيع السياسي Political Socialization ويعني فاجن بالتطبيع السياسي عملية غرس المعلومات والقيم والممارسات السياسية سواء تم ذلك بطريقة رسمية أو غير رسمية، وبطريقة مخططة أو غير مخططة. ويقول فاجن أيضا أنه حينما تكلم كاسترو عن أن الثورة عملية تربوية دقيقة "كان يعني بذلك غرس الممارسات والقيم ، السياسية - الثورية - خلال فترة وجيزة نسبيا"

وهذه العملية بلغة العلم الاجتماعي "تطبيع سياسي" (Fagen 1969:2).

ويفرق فاجن بين نمطين من التطبيع. النمط الأول يهدف الي تحقيق "حالة عقلية " State of mind . أما النمط الثاني فيهدف الي تحقيق مشاركة جماهيرية، ومن ثم سلوكيات (أو أنسقة فعل) ناتجة عن نماذج معرفية معينة والنمط الأول من التطبيع يقتصر بالطبع علي المستوي السيكولوجي. وعملية التطبيع السياسي فيه هي شيء من قبيل "الدعاية السياسية"، أي غرس ما يشبه خليطا من المعلومات السياسية والنصائح والتحذيرات والاتصالات التوجيهية. وهذا النمط كما يقول فاجن لا يصلح الا حينما يكون التطبيع منصبا علي القيم والسلوكيات القائمة - بالفعل - في المجتمع (Ibid: 5).

أما النمط الثاني من التطبيع الذي يهدف الي تحقيق المشاركة الجماهيرية فهو صالح حينما يكون التطبيع منصبا علي خلق قيم وسلوكيات جديدة تعمل في سياق اجتماعي سياسي جديد.

وقد استخدم التطبيع السياسي في كوبا لا لتطبيع الشباب في المجتمع القائم، بل لخلق ثقافة جديدة. كان الهدف الأول هو خلق المواطن المشارك القادر علي المشاركة، لا مجرد الفرد الذي يستطيع أن يردد شعارات الثورة كاملة. ان المواطن الجيد الذي تطلعت اليه الثورة في كوبا هو ذلك المواطن الذي يقاس بمدي تصرفه في حقول الانتاج وميادين القتال وفي الدراسة. كما يقاس بمدي تعاونه وتضحيته، وبمدي اسهامه في حركة الثورة. صحيح أن الفكر أو الحالة العقلية مطلوبة، لكن ذلك لن يكون في أحسن الأحوال الا شرطا ضروريا فقط غير كاف للنضال الثوري. لذلك قامت عملية التطبيق

وانصبت علي المشاركة. وأصبحت العلاقة بين التطبيع والمشاركة علاقة متبادلة ، فالمشاركة تؤدي الي تطبيع والتطبيع يؤدي الي المشاركة (Ibid: 7).

لقد كانت التعبئة ببساطة تعني تحريك هذه الأعداد الحاضرة في الجيش وفي المدارس وفي المنظمات الجماهيرية وتحويل مشاركتها الاسمية لمجرد حقيقة الحضور الي مشاركة فعالة في تحقيق البرنامج الثوري. ولذلك تحولت المؤسسات الجماهيرية الثورية الي أماكن للتدريب علي المشاركة واختيار المواطن المشارك: فالتغيير الثقافي للفرد والمجتمع لا يتمان الا من خلال المشاركة.

ولم تكن التعبئة الجماهيرية لتنتظر حتي يتم استدخال الفرد – مسبقا – لقيم ومعايير الثورة. فثمة علاقة تبادلية بين التعبئة والتغير في الثقافة وشخصية الفرد Cultural and personality change ويقول فاجن:

> "ان الاتجاهات والقيم والمعتقدات التي تؤدي الي تغير كثيف ومنتشر في السلوك انما يمكن أن تتشكل بطريقة أدق وأحسن من خلال المشاركة نفسها في المؤسسات الجماهيرية والثورية، حيث تكون هناك فرصة أكبر وأعظم من التوجيه، والرأي الجماعي وضغط جماعات الرفاق. وأكثر من ذلك، ففي تلك المؤسسات حيث تشجع المشاركة علي أوسع نطاق فان السلوك يعدل مرارا ويتغير حتي ولو لم يكن هناك من البداية تغير في الاتجاه.... وهذا التغير السلوكي قد يؤدي بعد ذلك الي ادراكات (نماذج معرفية) جديدة للحياة والعالم المحيط، ومن ثم تنشأ سلسلة رابطة

بين نمطي التغير - تغير السلوك وتغير الاتجاهات والقيم - وبهذه الطريقة فان الصياغات السهلة من قبيل "الاتجاهات تشكل السلوك" أو "أن السلوك هو الذي يشكل الاتجاه" قد تتزوي بعيدا تاركة المجال لنسق منظم من علاقة دينامية بين التغير في السلوك والتغير في الاتجاه (R. Fagen 1979: 10).

ان نظرية فاجن عن العلاقة بين التطبيع والمشاركة - التي عرضناها سابقا - تبين كيف أقيمت المؤسسات الجماهيرية وصممت بحيث تشجع وتسهل عملية الأنشطة الثورية القائمة علي المشاركة. كما تبين لنا كيف تستحيل ايديولوجية الثورة من خلال الانخراط في المشاركة الي نماذج معرفية (قيم واتجاهات) وأنسقة فعل جماهيرية. وقيام المؤسسات الجماهيرية علي المشاركة، واستمرار هذه المشاركة - والتدريب عليها - في قلب هذه المؤسسات الجماهيرية والثورية يعتبر في ذاته تغيرا ثوريا جديدا. وهكذا تضافرت الايديولوجية الثورية مع التعبئة الجماهيرية في خلق ثقافة جديدة، ومواطن كوبي جديد قادر علي المشاركة وتحقيق أهداف الثورة.

وفي هذا السياق، وفي اطار هذا التضافر بين الايديولوجية الثورية الاشتراكية والتعبئة الجماهيرية، قامت جهود الاصلاح التربوي في كوبا، ونشأت المؤسسات التعليمية الجديدة متناظرة مع غيرها من مؤسسات المجتمع الجماهيرية والثورية - كتدريب علي المشاركة لخلق الانسان الكوبي الجديد.

## ب - جهود الاصلاح التربوي في كوبا

أشرنا من قبل الي المكانة المتميزة التي احتلتها التربية في فكر الثورة الكوبية حتي صارت الثورة هي التربية والتربية هي الثورة. ولعل معدلات الانفاق العالية علي التعليم تفيد كمؤشرات كمية للدلالة علي أهمية المكانة التي احتلتها التربية في الثورة الكوبية. وتشير احصائيات اليونسكو (Statistic Year Book 1976) أن كوبا قد خصصت نسبة عالية من الدخل القومي للصرف علي التعليم الابتدائي والثانوي وكذلك علي التعليم الريفي. ففي عام ١٩٦٥ كانت ميزانية التعليم تمثل ٧٪ من الدخل القومي. (في الوقت الذي حددت فيه اليونسكو عام ١٩٧٥ الميزانية المناسبة للتعليم بما يساوي ٤٪ من الدخل القومي). وارتفعت ميزانية التعليم في كوبا حتي بلغت ١٢٪ من الدخل القومي عام ١٩٧٥.

وقد اتسعت الفرصة التعليمية حتي تم تحقيق الاستيعاب الكامل في المراحل الأولي من التعليم وشملت المرحلة الابتدائية وحدها ما يقرب من ١/٥ سكان كوبا. بل توضح الاحصاءات كذلك أن أكثر من ٣٠٪ من مجموع السكان عام ١٩٧٤ كان ملتحقا بالمدارس أو برامج تعليم الكبار - التحاقا كليا أو جزئيا. واذا كان أيضا لابد من مؤشرات كمية لتدل علي الجودة فهي معدل الانفاق علي التلميذ الواحد بمقارنته بما يصرف علي نظيره في دول أمريكا اللاتينية التابعة للولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٣/١٩٧٤ مقدرا بالدولار الامريكي يقدر بما يقرب من ١١٥ دولارا أمريكيا بينما ما كان يصرف علي التلميذ الواحد في التعليم الابتدائي في هندوراس ٣٤,٢ دولار

أمريكيا عام ١٩٧٠، وفي كولومبيا ١٦,٣ دولارا امريكيا عام ١٩٧٣.
(UNSCO: Statistic Year Book 1976 & M. Carnoy 1979: 134).

ذكرنا أن الاصلاح التربوي قد تحدد - كما تحددت سائر التغيرات والاصلاحات التي تمت في المجتمع - بمتغيري الايديولوجية الاشتراكية والتعبئة الجماهيرية. وقد بدت المضامين التربوية لهذين المتغيرين أكثر مابدت، لا في المحتوي الدرسي، بل في بنية النظام التربوي نفسه، وفي أنشطته وتوجهاته العلمية والفنية.(M. Carnoy 1979: 57) وسنبين ذلك تفصيلا في ستة مجالات أساسية تمت فيها اصلاحات تربوية راديكالية ناجحة، وهي: حملة محو الأمية، وتعليم الكبار بعد محو الأمية، والتعليم الرسمي العام، وفيالق المعلمين، والتعليم الجامعي، ثم مراكز رعاية الطفولة.

فكيف انعكست المضامين التربوية للايديولوجية الاشتراكية والتعبئة الجماهيرية في بنية الاصلاح التربوي في هذه المجالات الستة؟.... والي أي مدي نجحت جهود الاصلاح التربوي في دمج التربية بجهود التغيير الثوري في المجتمع الكوبي؟

### ١ - حملة محو الأمية :

كانت حملة محو الأمية في كوبا مواجهة وطنية واسعة لأمية مزمنة (Paulston 1977: 5). وقد أطلقت الحملة عام ١٩٦١ تحت شعار عام التربية وفي خلال ثمانية أشهر استطاعت القيادة تعبئة أكثر من ربع مليون متطوع من الرجال والنساء وتلاميذ وتلميذات المدارس، انطلقوا جميعا، كقوة تعليمية، بعد أن زودتهم الحكومة

الجديدة بالكتب والمصابيح الزيتية، للقضاء علي الأمية في جميع أنحاء كوبا. وقد كانت الأمية حسب الاحصاءات الرسمية قبل بداية الحملة ٢٣,٦٪، انخفضت بعد الحملة في نهاية العام المحدد الي ٣٪ - وهو أقل معدل للأمية في جميع بلدان أمريكا الجنوبية (R. Paulston 1977 & M. Carnoy 1979: 70) وقد كانت معدلات الأمية بالطبع أكثر ارتفاعا في المناطق الريفية وبين الفقراء اذ بلغت ٤١,٧٪ في هذه المناطق.

ونظمت الحملة في ثلاث مراحل: *المرحلة الأولي* "التعداد" وتم فيها احصاء الأميين وحصر أسماءهم في كل منطقة، والتمهيد للحملة. *والمرحلة الثانية*، مرحلة "تدريب المتطوعين وتعريفهم بالعمل وبطبيعته وأهدافه وتنظيمهم في وحدات مترابطة يتراوح عدد كل منها بين ٢٥، ٥٠ عضوا تحت اشراف عامل أو مزارع أو أي قيادة محلية. أما *المرحلة الثالثة*، فكانت الانطلاق "وفيها ذهبت فيالق العمل كوحدات مترابطة الي المناطق الجبلية، حيث أقاموا هناك اقامة كاملة حتي أنجزوا مهمتهم (Jolley 1964: 192: 193).

وقد قامت الحملة وفق مبدأين أساسيين كما يقول كارنوي. فالأول أنه اذا كان هناك أميون بين الشعب، فانه يوجد هناك أيضا مدرسون. والثاني أن المتعلم الأكثر يجب أن يعلم الأقل (Carnoy 1979: 72) أما عن المحتوي فقد كان الكتاب المقرر بعنوان Vencermos (سننتصر) وموضوعه أهداف الثورة والمشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع والأخطار التي يتعرض لها - داخليا وخارجيا (Ibid).

لقد كانت الحملة جزءا من الأهداف الثورية في تعبئة

الجماهير وكانت تعبئة الجماهير استراتيجية الثورة في تحقيق الهدف الثوري لمحو الأمية. أو بعبارة أخري، لقد كانت الحملة والتعبئة الجماهيرية وجهين لعملة واحدة، حتي أصبحت الحملة هي التعبئة والتعبئة هي حملة محو الأمية. بل أصبحت التعبئة هي التربية والتربية هي التعبئة .

لقد كانت الحملة وسيلة واستراتيجية لاعادة توزيع مصادر الثروة الاقتصادية في كوبا. فعملت علي تزويد الفقراء القاطنين في الجبال والأماكن النائية بالأطباء والأجهزة الطبية المختلفة، والنظارات الطبية لمعالجة أمراض العيون والأمراض الأخري التي كانت منتشرة ومتوطنة في تلك الأماكن (Dahlman 1975: 45) كما كانت الحملة أيضا استراتيجية ناجحة في تعبئة أكثر من ٢٠٪ من الشعب وتحريكهم في مسيرة واضحة ودمجهم في قوي الثورة الكوبية ليكونوا دعامة جديدة في جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية في كوبا. ومن خلال التعبئة نجحت الحملة، أوقل من خلال الحملة نجحت التعبئة، في جمع قطاعات كبيرة من الشعب ليتعاونوا جميعا مع بعضهم - كمعلمين ومتعلمين - في عمل واحد، وصف واحد وهدف واحد. فيتعلمون من بعضهم ويتعرفون علي بعضهم وعلي أنفسهم وعلي الثورة وعلي المجتمع (Ibid .45) ويروا بأنفسهم ظلم الواقع الذي دفع الي الثورة عليه، ويتحققون من شرعية الثورة وشرعية أهدافها وشرعية القضاء علي الاستغلال والطبقية والتبعية (Paulston 1977: 10) حقيقة لقد كانت الحملة لحظة تاريخية فذة في تاريخ كوبا تجمع فيها هذا العدد الضخم من الكوبيين من كل الطبقات في ريف كوبا وجبالها ليشهدوا ويصنعوا بأنفسهم ميلاد مجتمع جديد.

وثمة صعوبات وانتقادات يمكن أن توجه الي الحملة من وجهة نظر فنية أو اقتصادية ضيقة، مثل عدم تحقق محو أمية وظيفي للمتعلمين الجدد، أو ارتفاع تكلفة الحملة. لكن مثل هذه المعايير خارجة عن نطاق الهدف الأساسي من الحملة. فالحملة استهدفت احداث تغير ايديولوجي وتعبئة جماهيرية بين صفوف الشعب الكوبي. وقد نجحت في ذلك (Caarnoy 1979: 75) وحتي من وجهة نظر تربوية فنية - غير ثورية - فان أحدا لا يملك الا التسليم بحقيقة هامة وهي أن الحاجز الثقافي والنفسي الذي يحول دون تعليم الكبار (وهو موجود في كل مكان) قد انكسر تماما في كوبا بفضل الحملة منذ عام ١٩٦١ (R. Fagen 1969:55).

## ٢ - برامج المتابعة وتعليم الكبار :

بدأت هذه البرامج منذ عام ١٩٦٢ بعد حملة محو الأمية، لمتابعة ومواصلة تعليم هؤلاء الذين أنهوا برنامج محو الأمية، أو هؤلاء الكبار الذين انقطعوا عن التعليم في الصغر. وقد انخرط في هذه البرامج في أول العام الدراسي ما يقرب من ٣٠٠,٠٠٠ دارس، ثم ارتفع هذا العدد الي ٥٩٠,٠٠ دارس (Dahlman 1975: 46). وقد اتسعت هذه البرامج وتزايدت الاعداد فيها، لأن المشكلات التربوية التي كان يعانيها المجتمع الكوبي، مثل الأمية والتسرب لا يمكن أن تحل مباشرة عن طريق نظام التعليم الرسمي القائم، حتي بعد توسعه ثوريا. فحل مثل هذه المشكلات انما يتطلب أساليب جديدة بديلة - تستطيع أن تخرج التربية عن أسوارها التقليدية المعروفة ويعبر عن ذلك أحد القادة التربويين الكوبيين بقوله "لا يجب *أن تكون التربية*

*محصورة في أماكن محددة أو مخصصة، انما يجب أن تصل الي مواقع الانتاج لتزويد العمال المهرة والفنيين والمتخصصين بمزيد من المهارات والمعلومات التي تساعد علي زيادة طاقة الانتاج.B) Castillo)*

وهذه البرامج هي ما نطلق عليها مصطلح "*التربية* غير *المدرسية*" أو التربية غير الرسمية *Non-Formal Education* رغم أن هذه المصطلحات غير متداولة كثيرا في وثائق الثورة الكوبية وعلي أي الأحوال فان اتساع مثل هذه البرامج التعليمية - خارج النظام المدرسي المعروف يعتبر من العلامات التربوية البارزة في الاصلاح التربوي في كوبا. وفي تقرير الي اليونسكو تلخص وزارة التربية الكوبية (Ministry of Education 1969: 24) أهم الأسس التي تقوم عليها هذه البرامج كما يلي:

= أن هذه البرامج ذات أهداف محددة، تنجز في فترة زمنية وجيزة نسبيا.

= أن هذه البرامج تمول من خلال تضافر المنظمات الجماهيرية مع الحكومة.

= أن البرامج توجه لتكريس الجهود الثورية نحو التغير الاجتماعي السريع.

= أن البرامج تعمم بحيث تصل الي القطاعات الشعبية التي تهدف خدمتها بطريقة ملائمة تساعد في التغلب علي المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها هذه القطاعات.

وقد تعددت برامج التعليم غير المدرسي، تعددا كبيرا، لكن أهم هذه البرامج هي:

أ - دروس المرحلة الابتدائية للذين أنهوا برنامج محو الأمية بنجاح، حتي يحصلوا علي تعليم مواز للصف السادس الابتدائي.

ب - تعليم مواز للتعليم النظامي لكبار السن من العمال والفلاحين للحصول علي شهادات دراسية، حتي التعليم الجامعي - العالي.

ج - برامج متنوعة للأسر والجيش، والفلاحين والفنيين في قطاعات العمل المختلفة.

لم تهدف برامج المتابعة وتعليم الكبار الي تقديم حرفة تتعلمها ربة البيت، أو يتعلمها الهواه، أو العاطلون. كذلك لم تهدف هذه البرامج الي تقديم فرصة الي هؤلاء المتطلعين الي مواصلة ما انقطع من تعليمهم - لقد كانت هذه البرامج، بالأحري، جزءا من حركة ثورية واسعة استهدفت دمج كل فرد من الجماهير في المشروع الثوري في كوبا (M. Carnoy 1979:68) فقد استخدم تعليم الكبار أولا كجزء من عملية تغيير ايديولوجية التنمية القديمة التي انحصرت في الطبقات العليا وقطاع محدود عن الطبقة الوسطي، الي ايديولوجية التنمية الشاملة لكل قطاعات المجتمع دون استثناء ولذلك كان تعليم الكبار يهدف الي تغير في الوعي الايديولوجي (تحقيق نماذج معرفية وأنسقة فعل للايديولوجية الثورية بين الجماهير) لتتناسب مع، بل وتزيد فاعلية، علاقات الانتاج الجديدة في المجتمع. كما استخدم تعليم الكبار ثانيا لتزويد الخطط التنموية الجديدة بنوع

العمل الفني المدرب في كل مستويات العمل والانتاج ويقول "جولي":

> "ان الرغبة في تعبئة القوي العاملة، من فلاحين وعمال، سواء من أصحاب التعليم المحدود أو العالي، في استراتيجية تنموية شاملة، سياسية واجتماعية واقتصادية قد أضافت بعداً حيويا آخر للاهتمام، والاضطلاع ببرامج تعليم الكبار" (Jolly 1964:191)

### ٣ - التعليم الرسمي :

أصبح السلم التعليمي بعد الثورة مقسما الي أربع مراحل ست سنوات في المرحلة الابتدائية، ٤ سنوات للتعليم الثانوي الأساسي، ثلاث سنوات للتعليم قبل الجامعي أو التعليم التقني، ثم أخيرا التعليم الجامعي، وتختلف مدة الدراسة به من كلية الي أخري..

وقد كان الاهتمام الاساسي في اصلاح التعليم المدرسي Formal Education والتوسع فيه منصبا علي التعليم الابتدائي والمستوي الأدني من التعليم الثانوي والتعليم الفني.

ولقد كان هذا الاهتمام متفقا تماما مع سياسية إعادة توزيع الدخل ومع الأهداف الايديولوجية في الفترات الأولي من الثورة. فبينما كانت الاحصاءات تشير الي أن نسبة استيعاب المرحلة الابتدائية - قبل الثورة لم يكن يتعدي ٥٠٪ من أطفال هذه المرحلة، نجد أن التوسع في المرحلة الابتدائية والتعليم الثانوي الأساسي سار بخطوات واسعة حتي تم استيعاب جميع التلاميذ في السنوات العشر

الأولي من الثورة (Dahlman 1975: 67 - 75).

وفي السنوات العشر الأولي من الثورة كان الاهتمام ضعيفا بالتعليم العالي والمستويات الأعلي من التعليم واستمر ذلك حتي بداية السبعينات. وحينما بدأ التركيز بشدة يتجه الي النمو الاقتصادي كهدف في حد ذاته، فاننا نجد أن السياسية التربوية قد تناظرت مع ذلك وبدأ الاهتمام منذ عام ١٩٧١ يتجه الي التعليم العالي والي كفاية التعليم الابتدائي والثانوي (Carnoy 1979: 96) وفيما يلي نناقش أهم الاصلاحات التي قامت في التعليم الرسمي.

*أولا : " مدارس الريف " وربط التربية بالعمل المنتج*

تحتل فكرة العمل مكانة بارزة في الايديولوجية الماركسية. فالعمل وفقا لهذه الايديولوجية، هو محور التقاء الانسان بالطبيعة والمجتمع فقد تعرف الانسان علي الطبيعة وقوانينها وتحكم وسيطر عليها من خلال العمل وكفاحه - الاجتماعي - من أجل البقاء واشباع حاجاته الانسانية الاساسية. وكان العمل اجتماعيا بالضرورة. فنشأ المجتمع ونشأت علاقاته وقواه ومؤسساته الاجتماعية. والتربية في اطار هذا السياق الايديولوجي لا يمكن أن تكون تربية حقيقية الا بقيامها علي العمل. فالعمل، والعمل المنتج الجماعي، هو الخبرة الحية التي ينمو الطفل من خلالها معرفيا وسيكولوجيا واجتماعيا نموا صحيحا. والتربية من خلال العمل هي التربية القادرة علي اعداد الطفل للمشاركة في العمل. فالعمل هو أساس التقدم الاجتماعي والانساني. وعلي ذلك فالعمل وسيلة تربوية وهو غاية اجتماعية كذلك.

ومن هنا اتجهت القيادة الكوبية الجديدة الي الربط بين التربية والعمل. وكانت أولي الجهود في هذا الاتجاه هي جهود حملة محو الأمية – حيث انخرط أكثر من ١٠ آلاف تلميذ وتلميذة بعد أن أغلقت المدارس لمدة ٨ شهور في كفاح وعمل اجتماعي – جماعي – لانجاز أحد مهام الثورة في المجتمع. ومنذ ذلك الحين اتجهت القيادة الكوبية الي ربط التربية بالعمل المنتج المنظم في حقول الانتاج نفسها، ودفعت بالآلاف من الطلاب الي الجبال للمشاركة في حصاد القمح (G. Al-Ken 1974: 53).

ودمج التربية بالعمل ليس مسألة شكلية بسيطة ، بل هو في حقيقته تغير راديكالي في بنية النظام التربوي المعرفية والاجتماعية. ويقول ماكس فيجيرو وزملاؤه:

> "ان حب العمل واحترام العمال مسألة لا تأتي تلقائيا لكنها تتاج جهد وعمل تربوي دؤوب. ويتطلب هذا الجهد أن تدار المدارس وفق مبادىء دقيقة تحقق الأخلاق الاشتراكية في كوبا. والتربية التي تقوم علي الخبرة الحية هي التربية الأكثر فعالية، وهي الممكن الوحيد في مجتمع يتطلع الي بناء الاشتراكية" (Max Figueroe etal. 1974:11).

وثمة تجربة جديدة قامت في كوبا في أبريل، عام ١٩٦٦ لستمرت ٣٥ يوما – في أحدي المناطق الريفية – وعرفت التجربة باسم "مدرسة من أجل الريف" *The school to the countryside* وفيها طلب من تلاميذ المدارس الثانوية والمعاهد قبل الجامعية أن

يتطوعوا للذهاب الي الريف والعمل في الزراعة تحت اشراف آلاف من المتخصصين الزراعيين والأكاديميين وقدكانت هذه التجربة جزءا من عملية التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تهدف الي خلق الانسان الجديد، المحب لبلده، المستعد لاصلاحها والعمل علي زيادة ثروتها وتجسيد قيم العمل واحترامه. فكان الهدف ربط التربية بالحياة الحقيقية من خلال العمل العمل المنتج، وازالة الحواجز والتفاوت بين القرية والمدينة وقد نفذت هذه التجربة مرارا مما جعل انتقال المدارس الثانوية الي الريف يخضع لجدولة دقيقة واعاشة في معسكرات طلابية معدة، حتي أصبحت مسألة الخدمة والعمل في الريف جزء لا يتجزأ من خطة الدراسة تقدر بسبعة أسابيع من العمل الانتاجي.

وقد استعمل هذا الشعار أو هذا المصطلح "المدرسة الي الريف" ليتحقق الاندماج الكامل المنظم للشباب في العمل الانتاجي. واستمر انتقال المدرسة الي الريف فترة طويلة حتي تحولت القيادة عن هذه التجربة بسبب ماواجهته في تنفيذ انتقال المدرسة الي الريف من صعوبات اقتصادية وتربوية. وانتقلت الي تجربة جديدة تجعل هذه المدارس في الريف – أي في اقامة كاملة علي مدار السنة بدلا من الانتقال خلال الصيف فقط وأطلق علي التجربة الجديدة شعار "المدارس في الريف" (The school in the countryside).

"*والمدارس في الريف*" مصطلح يطلق الآن علي المدرسة الثانوية الأساسية. وتبدأ من الصف السابع حتي الصف العاشر من التعليم الذي يعرف بالتعليم الأساسي ذي العشر سنوات – وهي المرحلة التي تقابل المرحلة الأولي من التعليم الثانوي أو المرحلة الاعدادية في بلادنا و"المدارس في الريف" هي مدارس يأتي طلابها

جميعا من المناطق الحضرية (المدن)، ليقيموا اقامة كاملة، ويجمعون في دراستهم بين العمل والتفكير النظري بطريقة منظمة طوال السنة الدراسية الكاملة وأنشطتهم تشكل بالفعل جزءا كاملا من التنمية الاقتصادية في المجتمع (M. Figuereo 1974: 13) وقد سجل في هذه المدارس خلال العام الدراسي ١٩٧٣/٧٢ ما بلغ ١١٪ من مجموع الطلاب المقيدين في الصف الأول من التعليم الثانوي كله في كوبا. وقد ارتفعت هذه النسبة في العام الدراسي ١٩٧٥/٧٤ حتي وصلت الي ٢٥٪ من مجموع الطلاب المقيدين في المرحلة الأولي من التعليم الثانوي.

ويقضي تلاميذ هذه المدارس العطلة الأسبوعية في منازلهم - في المدن. ولهؤلاء التلاميذ الحق في دعوة ذويهم لقضاء العطلة الصيفية معهم مجانا، اقامة كاملة بما فيها المأكل والمشرب والخروج الي المتنزهات والشواطيء القريبة واستعمال سيارات المدرسة، لقاء القيام بأعمال اعاشة محددة في اطار العمل العام للمدرسة. وللأسرة استعمال الملاعب واستخدام كافة التسهيلات الترفيهية وهي كثيرة (Carnoy 1979:102).

وتتحول المدارس في الريف - كذلك - خلال فترة الصيف الي مراكز ترفيهية واجتماعية تفتح أبوابها للفلاحين من سكان المحليات المجاورة. هذا الي جانب العمل الانتاجي الذي لا ينقطع للطلاب والمدرسين والاداريين في المدرسة(Ibid. 103).

ان العمل المنتج الجماعي علي هذا النحو هو أكثر أشكال العمل فعالية من الناحية التربوية في تشكيل عقلية منتجة، تحتاج اليها كثير من مجتمعات العالم النامي التي تشيع فيها العقلية

المستهلكة. ان العمل المنتج الجماعي في النهاية هو استراتيجية فعالة في تشكيل الوعي الجماعي. فالانتاج هو أحد الانشطة الهامة التي تنطوي علي قوة ايديولوجية نمطية بما ينتجه من معايير للحياة اليومية ونماذج معرفية جديدة في وعي الفرد والجماعة. وأكثر الايديولوجيات تقدمية لا يمكن أن يكون لها قوة فعلية مالم تتحول الي معايير ونماذج معرفية في الحياة اليومية ومالم تتجسد في أنسقة فعل واضحة بين الجماهير في حياتهم اليومية.

ان هذه المدارس، بتمركزها حول الأنشطة الانتاجية الزراعية، قد خلقت مراكز تربوية وانتاجية في نفس الوقت. وهذا في حد ذاته قد حطم الحواجز بين المدرسة وحقول الانتاج وأزال عن كاهل خطة التنمية عبء انشاء المدارس المنعزلة عن المجتمع. فتم التوسع في هذه المدارس المنتجة دون اضافة أعباء علي خطط التنمية. واستنادا الي تقدير (Gillette 1972) ودراسة (Leiner 1975) يقرر كارنوي أن ٦٠٠ ساعة عمل/طالب في السنة، يمكن حسابها وفق الحد الأدني للأجور تبين أن انتاج الطلاب لا تغطي فقط ما يصرف علي المدرسة، بل أنها تشكل - أيضا - عائدا استثماريا بمعدل ٤٪ سنويا بالنسبة لرأس المال المنصرف (M. Carnoy 1979: 103).

ان الفكرة الرئيسية التي تضيفها هذه المدارس الانتاجية هي أن المدارس ينبغي أن تعتمد علي نفسها ماليا من خلال انتاج منتجات ذات قيمة مادية مماثلة لما ينفق عليها. وهذه الفكرة تعتبر نقطة انطلاق من واقع تربوي ممارس مقنن بالفعل - وتعتبر تحولا الي تربية جديدة حتي في كوبا نفسها.

وثمة بعدا آخر تضيفه *"المدرسة الثانوية في الريف"*. فقد اعتادت السياسة البرجوازية أن لا تعيش الا في العاصمة. وتتعامل البرجوازية مع القري والنجوع علي أنها أماكن غير صالحة للمعيشة بل أن أهل هذه الأماكن أنفسهم يبدلون في الهروب منها الي المدن والعاصمة علي الأخص (P. Wolsley 1969: 37). وتضخم المدن في العالم الثالث مثل القاهرة، ونيروبي، ومانيلا... الخ شاهد علي ذلك *"ومدارس الريف"* في كونها ليس هجرة عكسية - أي هجرة أهل المدينة الي الريف. ولكنها بالأحري عملية تعليمية للجميع في الريف والحضر علي السواء، حيث يتعلم الجميع أن مصدر الخير في المجتمع هو الأرض، وأن جميع الشباب في المجتمع - ريف وحضر - مسئولون جميعا عن العمل فيها، وعن رعايتها ليعم الخير المجتمع بأسره. كما تعلم الجميع أيضا أن الذهاب الي الريف لا يعني معاناة الحياة القاسية، ذلك أن أوليات التنمية هو تحسين الحياة. ومن ثم لم تعد الحياة تختلف من الريف عنها في المدينة .

*ثانيا : المدارس الداخلية ونصف الداخلية في المدن :*

هدفت القيادة الجديدة الي التوسع في انشاء مدارس ذات اقامة كاملة (داخلية) لتلاميذ المرحلة الثانوية وقبل الجامعة، ومدارس نصف اقامة (أي نصف داخلية) لتلاميذ المرحلة الابتدائية، وذلك في المدن. والمناطق الحضرية - في مقابل "مدارس الريف" التي انشئت في القري والمناطق الريفية. وتشير الاحصاءات الي تزايد اعداد تلاميذ هذه المدارس من ٥٠,٠٠٠ تلميذ في المدارس الثانوية عام ١٩٦٣ الي ٤٥٨,٠٠٠ تلميذ في كل المراحل التعليمية عام ١٩٧٣

(Carnoy, 1979: 46).

ويؤكد لينر أن جهود الحكومة في انشاء هذا النوع من المدارس علي هذا النحو في كل المراحل التعليمية، وخاصة اذا أضفنا اليها تلك الجهود المبذولة في انشاء مدارس الريف، يمكن اعتبارها أكبر جهود بذلت في تاريخ التربية لانشاء هذا النوع من المدارس الداخلية (M. Leiner 1973: 6).

وتعتبر تكلفة هذا النوع من المدارس تكلفة عالية جدا. اذ تبلغ تكلفة المدرسة الداخلية الواحدة عشرة أضعاف تكلفة المدرسة العادية التي تتسع لنفس عدد التلاميذ. فالمدرسة الداخلية تقدم الكسوة والطعام وكافة الخدمات الطبية والاجتماعية بالمجان. لكن برغم ارتفاع تكلفة هذه المدارس، فقد كانت استراتيجية تربوية فعالة في خلق *"الانسان الكوبي الجديد"*. فهذه المدارس ذات تأثير كبير لا يماثل في تشكيل وعي الشباب (أو قل في خلق نسق قيم واتجاهات جديدة بلغة Fagen، أو نماذج معرفية Mazway بلغة Wallace-، أو أنسقة فعل بلغة Hobsbawm أو بني معرفية معيارية جديدة بلغة Allardt). كما تبين الدراسات أن هذه المدارس، كذلك، أكثر تأثيرا في تنمية القوي المعرفية، اذا قيست باختبارات التحصيل المدرسي مقارنة بمدارس اليوم العادي (Dahlman 1973: 121).

ويشرح لينر آليات هذه المدارس في دمج الأطفال والشباب في حركة التعبئة الثورية بقوله:

*"أولا*، أن تجميع الأطفال أو الشباب – جميعا للعيش

معا في عيشة واحدة - في المدارس الداخلية - تسهل عملية تنمية القيم والاتجاهات التي تتفق مع الايديولوجية الثورية. *ثانيا*، أن هذه المدارس يمكن أن تقدم بفعالية تربية متكاملة للتلميذ - أي تربية بدنية وعقلية. *ثالثا*، أن هذه المدارس تهيء فرصة تربوية جيدة لشباب الريف، القادمين من مناطق بعيدة منعزلة، لتنمية المهارات والقدرات المتنوعة، في الفنون والعلوم والتكنولوجيا، التي تحفل بها المدن والمناطق الحضرية، ثم رابعا، أن المدارس الداخلية ونصف الداخلية تهيىء فرصة دمج جهود الأطفال والشباب في تلك الجهود الثورية المبذولة في اعادة بناء المدن والريف (M.Leiner 1973: 6).

*ثالثا : مدارس التعليم التقني*

وضحت حاجة المجتمع الكوبي الي التعليم التقني لتعويض النقص في الفنيين التي ظهرت واضحة بسبب فرار أعداد كبيرة من الفنيين الي الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك بسبب التوسع الكبير في الصناعة والميكنة الزراعية. ويقول جيليت:

"لم يكن المزيد من التربية كافيا وحده ليقابل احتياجات وأهداف التغيرات الاقتصادية الجديدة بل كان لابد من وجود نوع آخر من التعليم. لم يكن محو الأمية ولا التعليم الثانوي الأساسي في الريف والحضر يكفيان ذلك، لكنهما كانا بمثابة الأساس الذي بني عليه الكوبيون بعد ذلك تعليما تقنيا مرتبطا باحتياجات القوي العاملة مباشرة" (A. Gillette

.1973: 11)

وقد تنوع التعليم التقني تنوعا شديدا في كوبا في الصناعة والزراعة والتجارة وهناك مدارس التعليم التقني ذات الثلاث سنوات وتبدأ من الصف الثامن موازية للتعليم الثانوي الأساسي. وهناك المعاهد التقنية وهي الأكثر انتشارا وتبدأ بعد التعليم الثانوي الأساسي لمدة أربع أو خمس سنوات، لكنها موازية للتعليم الثانوي الأكاديمي المسمي بالتعليم قبل الجامعي.

*رابعا : دوائر الاهتمام لربط المناهج بالانتاج خارج المدرسة*

دوائر الاهتمام Interest Circle عبارة عن برامج لأنشطة مهنية متخصصة تنظم في جميع المدارس الابتدائية والثانوية وقبل الجامعية في الريف والحضر علي السواء. ويلتحق بهذه البرامج جميع التلاميذ حسب رغباتهم واهتماماتهم مكونين مجموعات، أو دوائر اهتمام ويشرف علي كل مجموعة من التلاميذ (أو كل دائرة اهتمام) مشرف فني يقود التلاميذ ويصمم لهم برنامج النشاط في التخصص المختار. وهذه الدوائر شديدة التشابه بما يسمي بالأنشطة المنهجية الاضافية Extra Curricular activities لكنها منظمة حول الأنشطة الانتاجية التي يحتاج اليها المجتمع المحلي خارج المدرسة: علوم الحيوان، كيمياء الاراضي، الكهرباء....الخ. وتتعاون الأجهزة والمؤسسات مثل المستشفيات والمصانع والمعامل مع دوائر الاهتمام - المناظرة لها في التخصص - وتقدم لهم النصح والارشاد والتوجيه وفرص العمل والزيارات المتبادلة.

وبدأت هذه الدورات عام ١٩٦٤/٦٣، حيث تم تصنيف

جميع الطلاب أصحاب الاهتمامات العلمية والتكنولوجية في دوائر مختلفة. وتهدف هذه الدوائر الي زيادة الاهتمام والدافعية تجاه العلم والتكنولوجيا، وخاصة في تلك الأفرع التي يحتاج اليها الاقتصاد الكوبي. وتهدف هذه الدوائر أيضا الي تحقيق الربط والتآلف بين نشاط علماء وفنيي المستقبل وبين مؤسسات المجتمع ومنظماته. كما تهدف دوائر الاهتمام كذلك الي ابراز الدور التربوي الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات الاجتماعية وتجسده أمام أعين الصغار كمصدر للعلم والخبرة الي جانب مناهجهم الدراسية التقليدية المعتادة. وتهدف دوائر الاهتمام أيضا فضلا عما سبق الي اقامة جسر بين منهج المدرسة والحياة العملية للتلميذ بعد التخرج:(S. Bowles 1971: 490, Carnoy 1979: 60 & Dahlman 1973: 86) وقد لعبت هذه الدوائر دورا هاما في تنمية حوافز بديلة للشباب في اختيارهم لمهنهم في المستقبل. فقد كان المجتمع الكوبي السابق يعتمد علي الأجور كحافز في المجتمع الرأسمالي لكنه - بعد التحول الاشتراكي أصبح يحتاج الي حوافز بديلة. وكانت دوائر الاهتمام وسيلة جيدة كي يتعرف الشباب من خلالها علي محتوي المهن المختلفة التي يتطلعون اليها كما كانت وسيلة جيدة، أيضا في تحديد ميول الطلاب وتوجيههم في الحياة، ليشاركوا بفعالية في عملية التنمية الوطنية (S. Bowles 1971: 489).

*خامسا: الجماعية والمشاركة داخل الفصل والمدرسة.*

الجماعية والمشاركة أحد أبعاد التغير في بنية التعليم الكوبي والتي تعبر عن نمط العلاقة الاجتماعية الجديدة بين التلاميذ،

وبين التلاميذ وعملهم المدرسي، وبين التلاميذ والمعلمين، وبين المعلمين وبعضهم البعض، وبين المعلمين والادارة. فقد شجعت القيادة الجديدة نظم الدراسة الجماعية فأصبح تعليم المعارف والمهارات يتم من خلال جهود جماعية، واتجه المعلمون الي التقليل من المنافسة داخل الفصل وأخذوا يقيمون العمل حسب الجهد الجماعي، ويقيمون التلاميذ داخل اطار الجماعة. وانعكست الروح الجماعية في برامج *"العرفاء"* حيث يقوم الطلاب الأكثر تفوقا بتعليم زملائهم الأقل تفوقا في شكل جماعات. وقد ساعد ذلك علي تقديم برنامج آخر يعكس الروح الجماعية الجديدة وهو برنامج *"التعليم بالاتقان"* *Mastry learning* الذي يتيح لكل طالب فرصة الاستيعاب الجيد والتغلب علي صعوبات المادة الدراسية المقررة (Ibid: 489). كما ساعد هذا التوجيه أيضا علي تنظيم استخدام التليفزيون والوسائل التكنولوجية الأخري داخل الفصول الدراسية (G. Allen 1974: 52).

كذلك ظهرت المشاركة الجماعية في ادارة المدرسة كأسلوب ديمقراطي يحد من هيمنة العلاقات البيروقراطية علي التعليم. فادارة المدرسة يضطلع بها مجلس ادارة يتكون من ممثلين عن المعلمين وممثلين عن الطلاب (من خلال الاتحاد العام للطلاب ومنظمة الشباب الشيوعي علي مستوي المدرسة). كما يتكون مجلس الادارة أيضا من ممثلين عن الأباء والمنظمات الجماهيرية خارج المدرسة. وهذا المجلس هو الذي يدبر ويقرر شئون التعليم في المدرسة (Figueroa 1974: 26).

٤ - فيالق المعلمين :

وأساس تكوين فيالق المعلمين وهدفه هو توفير المعلمين وتوجيههم نحو الريف وغرس القيم الجديدة فيهم. فكانت فيالق المعلمين نظاما لاعداد المعلم الاشتراكي ساعد في تعبئة سكان الريف ووفر لهم المدرس المؤمن بهدفه والمؤمن بمساعدة آلاف الفقراء الذين عانوا الظلم زمنا طويلا وقد تم تكوين فيالق المعلمين من بين هؤلاء الطلاب الذين أتموا دراسة ست سنوات ليلتحقوا في برنامج مدته خمس سنوات. ويقضي الطلاب المدرسون الثلاث سنوات الأولى من هذا البرنامج في "*مدرسة الجبل*" ويقضون السنتين الأخيرتين في "*مدرسة تعليم المعلمين*" في هافانا (Carnoy 1979: 62). ومدرسة الجبل التي يتم فيها تدريب فيالق المعلمين (أو الميلشيات التربوية كما يطلق عليها في بعض الأحيان) هي المدرسة المعروفة باسم Mina de Frio ويطلق عليها اسم مدرسة الجبل لوجودها في أحد جبال منطقة الأحراش في كوبا (A. Jolly 1964 -8).

وأهم الموضوعات التي يدور حولها تدريب المعلمين في فيالق هو كيفية اعداد وبناء مدارس الريف وكيفية التعليم في هذه المدارس وفقا لأسس التعبئة الجماهيرية وأسس التوجيه الثوري. وقد أصبح هذا النظام الجديد في اعداد معلم المرحلة الابتدائية في الريف بديلا عن مدارس أو مراكز تعليم المعلم التقليدية التي كانت منتشرة قبل ذلك في المناطق المختلفة، والتي انتهت تماما من كوبا وأغلقت منذ عام ١٩٦٢ (Ibid: 38).

ونلاحظ أن برنامج تكوين فيالق المعلمين كانت محاولة جادة لحل مشكلة العمل في الريف ومشكلة الانفصال بين التعليم

والحياة، وبين الفكر والممارسة في المجتمعات البرجوازية. فلم يعد في كوبا وظيفة "معلم في الريف" وظيفة درجة ثانية، ولم تعد عقابا كما هو شائع في معظم بلدان العالم الثالث. لقد أصبحت وظيفة يكافأ عليها الفرد بأكثر من وسيلة وذلك في نسق التعزيزات الاجتماعية في المجتمع الجديد. فقد ربطت حكومة الثورة علي سبيل المثال - دخول الجامعة بشرط خدمة الريف. والمعلم الذي خدم الريف هو المعلم الذي له أولوية الالتحاق بالجامعة. وان كان قد تبين بعد ذلك أن دخول معلم التعليم الابتدائي الجامعة أمر ضروري للارتفاع بمستوي التعليم وليس فقط مجرد حافز (أو عنصر) في نسق التعزيزات.

**٥ - الاصلاح في الجامعة :**

لم تكن الجامعة بعيدة عن الاصلاح التربوي الراديكالي في كوبا - رغم أن الاهتمام بها جاء في مرحلة تالية بعد الاهتمام بالتعليم الابتدائي والثانوي الأساسي. كما جاء تحت ضغط الحاجة الي العمالة ذات التخصص العالي الدقيق لتغطية النقص في هذا النوع من العمالة ومقابلة المتطلبات الجديدة للتنمية. وقد سار الاصلاح التربوي في الجامعة الي جانب التوسع الكمي في اعداد الجامعات والكليات والطلاب في الاتجاهات الكيفية الآتية:

*أولا: اعادة بنية الاهتمام بالتخصصات الاكاديمية داخل الجامعة.*

وذلك باعادة توجيه الطلاب الي الاهتمام بالدراسات العلمية والتكنولوجية بدلا من الاهتمام السابق بالدراسات القانونية والانسانية وذلك عن طريق اعادة بناء الأقسام العلمية القديمة وتزويدها

بالامكانيات اللازمة، وكذلك عن طريق اقامة كليات جديدة للعلوم والتكنولوجيا في جميع المجالات العلمية الجديدة وتوفير المنح الدراسية لطلاب هذه الأقسام وتشجيعهم بشتي الوسائل الممكنة. وقد تم كذلك انشاء كليات جديدة للعمال والفلاحين داخل الجامعة تركز علي دراسة العلوم والتكنولوجيا - واتسعت هذه الكليات حتي شملت ١/٥ طلاب الجامعات في كوبا.

*ثانيا: تغير مفهوم الجامعة ووظيفتها.*

والتغيرات التي تمت في بنية الاهتمام الاجتماعي بالتخصصات العلمية الجديدة كانت تدل علي تغير في مفهوم الجامعة ووظيفتها في المجتمع الكوبي الجديد. فمن ناحية الشكل فان الاصلاح التربوي الجامعي في كوبا كان يسير في الاتجاه المقابل لخط الاصلاح في دول أمريكا الجنوبية الأخري فبينما كان الاصلاح الجامعي في أمريكا الجنوبية يؤكد مفهوم التمهين Professionalization في وظيفة الجامعة، ويرفع شعار (أو مبدأ) استقلال *"الجامعة"* كان الاتجاه في الاصلاح الجامعي الكوبي يؤكد علي مبدأ *"ربط الجامعة بالمجتمع والتزامها بالقضايا الاجتماعية"* وهذا الاتجاه الكوبي مغاير تماما لمبدأ *"استقلال الجامعة"* ويختلف عنه. فهذا المبدأ يمكن أن يرفع كشعار لمواجهة سيطرة القلة الطبقية علي الجامعة والمجتمع. لكن في نظام اجتماعي سياسي تضطلع فيه غالبية القوي الشعبية بالمسئولية الجماعية، فان التعليم الجامعي يصبح له دور، بل وينبغي أن يقوم بدور فعال في مساعدة وتمكين هذه القوي الشعبية من تغيير المجتمع وتحديثه وتحقيق خططه التنموية وأهدافه السياسية والاجتماعية

والتعليم الجامعي بهذا المعني هو في خدمة المجتمع وليس مستقلا عنه، وهو في خدمة القوي الشعبية في نضالها الاجتماعي والسياسي والثقافي وليس مستقلا عنها (Gillette 1973: 16 - 17).

*ثالثا: ربط الجامعة بالعمل الانتاجي:*

لقد كان التوجه العام في الاصلاح التربوي الجامعي هو دمج النشاط الأكاديمي لطلاب الجامعة بمجمل النشاط الانتاجي في المجتمع الكوبي. وقد تضمنت تلك النظرة خروج الطلاب الي العمل كجزء من خطة الدراسة الجامعية. فكان علي طلاب الطب علي سبيل المثال التوجه للعمل في المستشفيات منذ السنة الثالثة. وأن يعمل الأساتذة والطلاب في مراكز الخدمات الطبية نصف الوقت. وكذلك كان علي طلاب العلوم الاقتصادية والتجارية العمل في الوزارات المناظرة لتخصصاتهم، وأن تكون أبحاثهم وتقاريرهم العلمية حول ما يمارسونه من عمل وما يواجهونه من مشكلات بالفعل. وتم كذلك توجيه طلاب الكليات الانسانية والأدبية الي الحياة العامة للناس، وعمل دراسات وأبحاث ومسوح اجتماعية تخدم خطط الاصلاح الاجتماعي والتربوي. وأصبح الحال كذلك بالنسبة لطلاب كليتي الهندسة والزراعة، فقد تم توجيه طلاب هذه الكليات الي العمل في مراكز الانتاج - في المصانع والحقول - عملا منتظما كجزء من البرنامج الدراسي. ويصف صموئيل بولز ذلك بقوله:

> "ان كل كلية جامعية تقريبا كان عليها أن تنخرط في مشروع أو آخر من مشروعات التنمية الوطنية....

حتي كليات الآداب فقد كان عليها القيام ببحوث مسحية التعرف علي الاحتياجات والتطلعات الثقافية والتربوية للفلاحين فتعميم التعليم الجامعي طريق ذو شقين Two-way street وهو أن جميع الطلاب يجب أن يكونوا عمالا، وفي نفس الوقت فانه يجب أن يكون جميع العمال طلابا (Bowles 1971: 490).

### ٦ - مراكز رعاية الطفولة قبل سن المدرسة:

توسعت الحكومة الجديدة في كوبا في انشاء مراكز رعاية الطفولة سواء كان ذلك في مدارس الحضانة أو رياض الأطفال Nursery and Kindergarten schools وقد تطور عدد هذه المراكز من ٣٧ مركزا عام ١٩٦١ حتي بلغت ٤٣٠ مركزا عام ١٩٧٠ تضم ٤٤,٢٤٦ طفلا. والتوسع في انشاء مراكز رعاية الطفولة قبل سن المدرسة يخدم أهدافا ايديولوجية واقتصادية للثورة الكوبية. فهو، أولا، يهدف الي القيام بعملية تطبيع اجتماعي للطفل واعداد "الانسان الكوبي الجديد" منذ هذه السن المبكرة ويهدف، ثانيا، الي تحرير المرأة الكوبية كقوة عمل وتمكينها من المشاركة في بناء المجتمع الجديد. وهذا هدف اقتصادي في حد ذاته. لكنه مرتبط بهدف ايديولوجي آخر في نفس الوقت، وثالثا، فان تمكين المرأة من مزاولة العمل خارج المنزل، يساعد علي الحد من النزعة الرجولية Male chauvinism التي كانت سائدة في كوبا القديمة (Leiner, 1974).

## ج - نتائج الاصلاح التربوي في كوبا "التناظـــــر والتناقـــــض"

ان جهود الاصلاح التربوي في كوبا - وفقا لنظرية التناظر والتناقض عند ليفين التي عرضناها في الجزء الأول من هذه الدراسة - هي جهود ثورية حاولت وضع النظام التربوي في حالة توافق أو تناظر Correspondence مع التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أحدثتها الثورة في كوبا حتي تسهم بفعالية في تحقيق أهداف الثورة. ومع ذلك فثمة تناقضات جديدة تنشأ دائما في اطار كل توافقات جديدة. فما مغزي وأهمية جهود الاصلاح؟ والي أي حد نجحت في ارساء تناظر أو توافق في النظم التعليمية مع التحولات الاجتماعية في كوبا؟.... وما أهم تناقضات الاصلاح التربوي والثورة في المجتمع الكوبي الجديد؟

### ١ - مغزي وأهمية الاصلاح التربوي في كوبا.

لقد كان الاصلاح التربوي في كوبا في نظر الكثيرين من الدارسين المهتمين بالتربية في العالم الثالث، إسهامة فذة في تغطية متطلبات التقدم الاقتصادي في كوبا من الأيدي العاملة المدربة في كافة مستويات ومجالات الانتاج (Gillette 1972, Jolly & Bowles 1971). ولم يكن كذلك فحسب، بل كان أيضا إسهامة قوية في تخليص كوبا من التبعية الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية. لقد كان لبناء معاهد البحث العلمي في كل مكان وكل مجال

من مجالات الانتاج المختلفة، وكذلك كان للتوسع الضخم في اعداد وتدريب الفنيين علي كل المستويات أثراً فعالا في تزويد كوبا بالخدمات الانسانية الأساسية التي عززت من الاستقلال الاقتصادي لكوبا. كما لعبت الاصلاحات التربوية التي ركزت أولا علي محو الأمية وتعليم الكبار والتوسع في التعليم الابتدائى والحلقة الأولي من التعليم الثانوي دورا هاما منذ البداية في تحطيم الحواجز الطبقية وارساء دعائم العدل الاجتماعي في التربية والمجتمع. فقد حصل آلاف الأطفال من السود وأبناء العمال الذين يعيشون في المناطق النائية علي الفرصة التعليمية لأول مرة. كما حصل كبار السن علي تعليم وظيفي مناسب، بل وتدرج بعضهم في المراحل التعليمية حتي وصلوا الي أعلي مراحل التعليم. لم تتحقق العدالة في التربية من خلال برامج التربية التعويضية المتبعة في الغرب، بل من خلال التغيرات الاجتماعية التي هدفت من البداية الي ازالة كل أشكال الاستغلال والتفاوت الطبقي.

ولقد غيرت الاصلاحات التربوية البنية المعرفية (Epistomology) للتعليم في كوبا تغيرا جذريا. فلم يعد التعليم عملية تدريس أو نقل معارف ومعلومات جامدة صماء تقوم علي الحفظ والتكرار. وقد قضي علي شكلية التعليم التقليدي. وبدأ التلاميذ يتعلمون من خلال ما يفعلون ومن خلال ما يفعله المعلم. وقد عمل المعلم الي جانب التلميذ الي جانب العامل والفلاح..... لقد عملوا جميعا جنبا الي جنب وزالت التفرقة القديمة بين الفكر والعمل، وبين التربية والحياة والانتاج.

ولم تحقق الاصلاحات التربوية تغيرا في البنية المعرفية (الابستمولوجية) للتعليم فحسب، بل حققت أيضا تغيرات عميقة في

البنية الاجتماعية (السيسيولوجية) للنظام التعليمي. فقد تغير نمط العلاقات الاجتماعية العملية التربوية الي علاقات وبني اجتماعية جديدة: الجماعية، ودوائر الاهتمام، الادارة الذاتية، العمل الانتاجي للمعلم والتلميذ.... الي أخر هذه العلاقات والبني التي أشرنا اليها سابقا بالتفصيل. وقد كانت هذه الاصلاحات كلها فعالة في خلق المواطن الكوبي الجديد. وقد لاحظ كوزول في دراسته الميدانية الأنثروبولوجية "أطفال الثورة" هذه التغيرات في البنية المعرفية والاجتماعية لنظام التعليم الكوبي، ومدي فعاليتها في خلق المواطن الكوبي الجديد. ويقول كوزول:

> "حينما يكون هناك أطفال تستطيع أن تتحدث بسهولة ويسر مثلما تتحدث الطفلة ليونورا عن *"التزامي في الثورة"* – وليس نحو – الثورة، وحينما تستطيع كارلوس أن تقول "لو كان ذلك صحيحا... فانه حقيقة قد يشعرني بالعار... وسوف أتحقق منه" وحينما تستطيع أن تقول الطفلة سندرا عن الدور الثانوي للمرأة في التاريخ، *"أن ذلك لن يعود مرة أخري"* فانه يتبين جليا أن الجوانب الضعيفة والمأساوية الموجودة في مدارسنا العامة التي طالما عرفناها وعايشناها منذ مئات السنين قد تغيرت تغيرا جذريا (Jonthan Kozol 1978:196).

لقد استطاعت الثورة في كوبا أن تحدث تغيرات اجتماعية واقتصادية واسعة وأن تتخلص من السيطرة الاجتماعية والسياسية والتبعية الخارجية وأن ترسي دعائم مجتمع المساواة

والتقدم.

ولم يكن الاصلاح التربوي ليتم علي هذا النحو دون حدوث تلك التغيرات الاجتماعية الشاملة في المجتمع الكوبي. ووفقا لمبدأ التناظر أو التوافق Correspondence بين التربية وبنية المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الكبير، فقد تم الاصلاح التربوي ليعكس (أو ليتوافق مع) تلك التغيرات الاجتماعية الجديدة في المجتمع. ولقد نجحت جهود الاصلاح في التربية (في تحقيق علاقة تناظر جديدة بين التربية والبني الاجتماعية الجديدة) بفضل نفس المتغيرات التي وفرت شروط النجاح لانجاز التغيرات الاجتماعية الشاملة (وتحقيق أهداف الثورة) في المجتمع وأعني بهذه المتغيرات الايديولوجية الثورية والتعبئة ( أو المشاركة ) الجماهيرية في الثورة الكوبية . وبدون فهم ذلك يصعب علينا فهم دينامية الاصلاح التربوي في كوبا ، فقد كانت ايديولوجية الثورة وتعبئة الجماهير هما أساس وجوهر الاصلاح التربوي كما كانا أساس وجوهر التغير الاجتماعي في المجتمع الكبير. وبعبارة أخري أكثر تبسيطاً نقول ان نفس السياسة التي أنجزت التغير الاجتماعي هي نفسها التي أنجزت الاصلاح التربوي الراديكالي في كوبا.

لقد تحولت ايديولوجية الثورة خلال التعبئة في حملة محو الأمية، وفي مدارس الريف، وفي المصانع حيث العمل التربوي الجماعي المنتج وفي مدارس الداخلية أو في رياض الأطفال، الي نماذج معرفية ونماذج فعل لكل جماهير هذه المواقع، لتحدث تغيرا ثقافيا علي صعيد المجتمع كله. كما تحولت الايديولوجية خلال المشاركة الجماهيرية في كل هذه المواقع الي برامج عمل ذات أهداف

واضحة لتغيير البنية الاجتماعية للمجتمع. لقد كانت التعبئة في التربية تعني توصيل رسالة الايديولوجيا الي أكثر من مليون نسمة في المناطق الريفية والجبلية النائية ودمجهم في جهود التغيير الثوري والنضال من أجل تحقيق أهداف المجتمع الجديد. وكانت التعبئة تعني كذلك تحطيم تلك الثنائيات القديمة المعتادة بين العمل اليدوي والعمل الذهني بين القرية والمدينة، بين الرجل والمرأة، بين الجامعة والمجتمع.....الخ. لقد كانت التعبئة تعني كذلك تعليم الكبار، رجالا ونساءً، شبابا كانوا أو من تجاوزوا سن الشباب، وتهيئة الفرصة امامهم للمشاركة الفعالةفي جهود التغيير الثوري والتنمية. لقد كانت التعبئة في النهاية تعني خلق الانسان الكوبي الجديد: القادر علي المشاركة، القادر علي تحمل المسئولية، الاشتراكي، القادر علي البناء والعمل.

## ٢ - تناقضات الثورة والاصلاح التربوي في كوبا.

ان كشف تناقضات الوجود الاجتماعي هو توجه أساسي في منهج التفكير النقدي، طالما أصبح تحرير الانسان والمجتمع هوالمسألة الأساسية في اهتمام المعرفة: فكشف التناقضات هو ضمان التغير الدائم في سبيل مزيد من التحرير للانسان والمجتمع. وتجربة الثورة الاشتراكية في كوبا - رغم الانجازات الهائلة التي أحدثتها في سبيل تحرير الانسان والمجتمع الكوبي - ليست استثناءا من هذه القاعدة فلم تخل الثورة الكوبية من تناقضات اجتماعية ظهرت واضحة في الاصلاح التربوي هناك.

وسنحاول في هذا الجزء توضيح هذه التناقضات في

سياقها الاجتماعي فقد قامت الثورة في كوبا وانخرطت جماهير الشعب في عملية التغيير، وتوالت التغيرات والاصلاحات وتتابعت واستدعت بعضها بعضا في دينامية لا تخلو من براجماتية رغم الوضوح الايديولوجي. فقد تركزت الجهود الثورية في البداية نحو الصناعة وعندما نتج عن ذلك انهيار الانتاج الزارعي عام ١٩٦٣ اتجهت الجهود الثورية الي العناية بالزراعة وميكنتها وتنميتها في الفترة من ٦٤ - ٧٠ (Mesa - Lago, 1971: 297) ثم عاد الاهتمام مرة أخري نحو تحقيق التقدم الصناعي والتكنولوجي مع بداية السبعينات . وحدث أيضا نفس التردد ازاء الاختيار بين الحافز الاخلاقي أو الحافز المادي في صياغة علاقات الانتاج الجديدة (B. Williams and M.Yates 1974: 87).

فقد كان الاهتمام أولا منصبا علي الحافز الاخلاقي ثم تحول الي الاعتماد علي الحافز المادي ونظام الأجور في ادارة الاقتصاد وتنميته. وانعكس ذلك بالطبع علي التربية فترددت جهود الاصلاح بين الاهتمام بالمدارس الصناعية والمدارس الريفية، ومدارس الصفوة التي استدعي قيامها الاهتمام بدخول عصر التكنولوجيا المتقدمة. وعلي أي الأحوال لقد أفرزت هذه الظروف عدة تناقضات في المجتمع الاشتراكي الجديد. وقد ظهرت هذه التناقضات واضحة في بنية النظام التربوي الجديد وذلك بفضل مبدأ التناظر وعلي الرغم منه - في نفس الوقت. فلم يكن التناظر الجديد بين التربية والمؤسسات الجديدة - الذي تحقق من خلال جهود الاصلاح - يعني أن التربية صارت أداة طيعة في تحقيق التغير الاجتماعي أو أنها قد اندمجت في هذه الجهود اندماجا كاملا. فالتناظر نفسه يعني في نفس

الوقت أن تناقضات المجتمع الجديد ستكون في نفس الوقت في قلب النظام التربوي الجديد فتختل العلاقة بين التربية والمجتمع بسبب هذه التناقضات ومن ثم تكون دافعا لتغير جديد واصلاحات تربوية جديدة.

وقد ظهرت ملامح هذه التناقضات في مرحلة استقرار الثورة، نتيجة لنمو العلاقات الداخلية في بنية المجتمع الاشتراكي الجديد، من جهة، ونتيجة لزيادة الضغوط الخارجية في المجتمع الدولي من جهة ثانية.

ويمكن أن نحدد ثلاثة تناقضات أساسية تعوق علاقة التناظر أو التوافق بين التربية وحركة التغيير الثوري في كوبا وهي: الانتقائية النوعية، والفردية والحافز المادي.

ونود أن نؤكد قبل مناقشة هذه التناقضات أنه لا يجب أن نفهمها أي التناقضات علي أنها سمات أساسية في بنية المجتمع أو التربية الكوبية بل هي بالأحري سمات باقية من عناصر البني الرأسمالية القديمة تحاول أن تبزغ الي الوجود مرة أخري في ظروف تناقضات اجتماعية مواتية. وهذه التناقضات محل صراع اجتماعي قد ينجح في استيعاب التناقضات وتجاوزها لصالح قوي التغير الاجتماعي أو قد يفشل وتقوي العناصر الرأسمالية لصالح القوي القديمة.

*التناقض الأول: الانتقاء في مقابل المساواة.*

تطلب النمو الاقتصادي السريع في المجتمع الاشتراكي الكوبي مهارات عالية المستوي وذلك في الوقت الذي تركت فيه أعداد كبيرة من العناصر الفنية المدربة تحت تأثير الدعايات والمؤامرات الأمريكية. وكان من نتيجة ذلك - وتحت ضغط الحاجة - أن اتجه

النظام الاقتصادي الي انتقاء العناصر الفنية المدربة - المتاحة - وفق ما تملكه من مهارات ومعلومات - أي تربية - وقد أدت ندرة هذه العناصر الي خلق هيراركي اجتماعي واضح داخل بنية التنظيم الاجتماعي للعمل - الاشتراكي - في كوبا.

والهيراركية عنصر من عناصر البنية الاجتماعية لعلاقات العمل في النظام الرأسمالي. ومن ثم فهي تتناقض أول ما تتناقض مع بنية ونمط علاقات الانتاج الجديدة في المجتمع الاشتراكي. ولعل هذا العنصر هو الذي كون منذ البداية حوله مصالح اجتماعية قاومت الحافز الأخلاقي في الانتاج الكوبي وقوت ودعمت من وجود الحافز المادي في الاقتصاد الكوبي. ولعل هذا العنصر أيضا - بما أفرزه من قوي تكنوقراطية لها مصالحها الاجتماعية الخاصة، كان سببا في اجبار القيادة الكوبية علي التخلي عن فكرتها الايديولوجية التي كانت توحد بين مفهوم المساواة ومفهوم المجتمع اللاطبقي، بحيث تصبح المساواة مرادفة للمجتمع اللاطبقي. وقد مهد التخلي عن هذه الفكرة لقبول التفسير الايديولوجي السوفيتي بأن المجتمع اللاطبقي لا يعني بالضرورة مجتمع المساواة، فقد يوجد في المجتمع اللاطبقي لا مساواة، بسبب تفاوت الأجور - أو الدخول الناتجة عن العمل (N. R. Manitzas, 1973: 9). وقد وجدت التكنوقراطية الاشتراكية - ان صح التعبير - تبريرا لهيراركيتها ومصالحها الاجتماعية التي ولدتها تناقضات الاقتصاد الاشتراكي الوليد في الايديولوجية الماركسية السوفيتية.

وعلي أي الأحوال، لقد انعكست هذه الهيراركية الاجتماعية البازغة في قلب النظام الاقتصادي الكوبي علي التربية.

وتولدت هيراركية تربوية داخل النظام التربوي، تقوم علي عملية انتقاء اجتماعي متناظرة مع تلك التي تقوم عليها هيراركية الانتاج في الاقتصاد. فكيف حدث ذلك ؟

ان التوسع في النمو الاقتصادي وزيادة متطلباته من العمالة الماهرة المدربة شكل ضغطا علي النظام التربوي الذي لم يكن قد اكتمل بعد – في بداية الثورة – فلم يستطع بالطبع أن يلبي هذه المتطلبات. الأمر الذي جعل القيادة في كوبا تتجه نحو التسريع في التعليم التقني لمقابلة هذه المتطلبات الاقتصادية. وقد أدي ذلك الي تبني سياسة تشعيب مبكر نسبيا في جسم النظام التربوي (الاشتراكي): بين تعليم ثانوي أساسي وتعليم تقني أو بين تعليم عام ثانوي – قبل الجامعي – وآخر تقني في معاهد فنية معينة حسب التخصص. والتشعيب سمة طبقية في نظام التعليم القومي. فهو أداة (ميكانزم) للانتقاء الاجتماعي داخل النظام التعليمي (K. Hop-per 1977: 154)، الذي يعمل علي اعادة انتاج بنية التفاوت الطبقي في المجتمع حسن البلاوي، ١٩٨٦ ، ١٣٤). ووجود مثل هذا التشعيب، وهو الانتقاء في نظام التعليم الاشتراكي يجعله متناقضا مع وجهة التغير الاجتماعي الكوبي الذي يسعي الي تحقيق المجتمع اللاطبقي القائم علي العدل والمساواة.

فهل ثمة ضرورة الي وجود تعليم تقني قبل الجامعي؟ وما الدور الذي يمكن أن تلعبه المدارس الفنية المتخصصة ويعجز عنه التعليم العام الأساسي؟ الي آخره من الأسئلة النقدية التي يثيرها الفكر النقدي الراديكالي ضد عملية التشعيب في التعليم باسم التقنية والحاجة الي الأيدي العاملة المدربة، وما تثيره من هيراركية طبقية في

التعليم.

حقيقة لقد كان التوجه التربوي عموما في كوبا - ومازال - يهدف الي ازالة التشعيب بين التعليم التقني Technical education (الفني ذي الصبغة الحرفية Vocational Education) والتعليم الاكاديمي العام الذي يعد للجامعة. وذلك حتي يصبح التعليم كله تعليما أساسيا واحدا في المرحلة الابتدائية والثانوية - المتوسطة - يعقبه تعليم فني للجميع في المرحلة قبل الجامعية. بحيث لا توجد أي تفرقة بين مدرسة وأخري الا علي أساس نوع التخصص في كل منها (Carnoy 1979: 106). فما الذي حدث في كوبا بشأن هذا النوع من التعليم؟

لقد قام بالفعل حتي الآن عدد قليل من المدارس يقدم تعليما موحدا ذي طبيعة راقية يجمع بين التعليم التقني والتعليم الاكاديمي معا، بهدف اعداد عناصر ذات كفاءة عالية تفي بمتطلبات بعض جوانب التكنولوجيا المتقدمة.

وهذه المدرسة - من حيث السلم التعليمي - توازي مرحلة التعليم الثانوي الأساسي ومرحلة التعليم قبل الجامعي معا. وأول مدرسة أنشئت من هذا النوع الراقي الموحد كان في عام ١٩٦٧/٦٦. ولم تتمكن الحكومة الا من انشاء سبع مدارس فقط من هذا النوع - موزعة علي عدة مناطق جغرافية داخل كوبا - حتي عام ١٩٧٥. وتعتبر المدرسة التي يطلق عليها "مدرسة لينين" التي انشئت عام ١٩٧٣/٧٢ خارج العاصمة هافانا هي أهم مدرسة من المدارس السبعة، وهي النموذج المعدل لهذا النوع من المدارس (Ibid. 106) ولم تعمم الحكومة الكوبية هذه المدارس علي غرار مدرسة "لينين" -

ربما بسبب تكلفتها المالية العالية، أو ربما أن الهدف من بناء هذا النوع من المدارس أصلا كان لاعداد عناصر محدودة ذات كفاءة نادرة يتطلبها العلم والتكنولوجيا المتقدمة. علي أي الأحوال لقد ظل هذا النوع من المدارس محدودا، وقاصرا علي النخبة (الصفوة) من التلاميذ الذين يختارون بعناية لتفوقهم ولأدائهم المتميز في السنوات الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية. ويكشف بولز عن أوجه التناقض الذي يثيره وجود مثل هذا النمط من مدارس الصفوة في مجتمع اشتراكي. فيبين أن بناء مثل هذا النوع من المدارس ينطوي علي تغير في بؤرة الاهتمام من التركيز علي مبدأ المساواة الي التركيز علي مبدأ "الكفاية" Efficieny في التربية. وأن هذا النوع من المدارس يقدم حلا تربويا نخبويا Elitism في المجتمع الكوبي. ويشرح بولز هذا التناقض بقوله:

> "ان مجتمعا قد آل علي نفسه أن يدخل مرحلة جديدة من التقدم العلمي والتكنولوجي من موقع تربوي متخلف قد يجد نفسه في موضع يغريه ويدفعه الي تبني مشروعات تهيء فرصا تربوية خاصة للتلاميذ الموهوبين. فثمة مدرسة قد انشئت في هافانا للنخبة الذكية... ويتم الانتقاء التربوي فيها وفق مستوي الأداء المدرسي... ومع ذلك فان نظاما تربويا يشعب الأطفال في سن مبكرة وفق قدراتهم المقيسة وأدوارهم المتوقعة مستقبلا في العملية الانتاجية، وحتي لوكان ذلك في مجتمع اشتراكي، فانه سيعمل علي اعادة انتاج البنية الطبقية للمجتمع ومعني الهيراركية الاجتماعية في وعي تلاميذه. ان الأبعاد

المعززه لنزعة النخبة Elitism التي يبني عليها مثل هذا النمط من التعليم، هي أبعاد واضحة تماما، وتقوم هذه الأبعاد وتقوي بعقائد رومانتيكية حول أهمية الخبير العلمي (S.Bowles, 1971: 498).

علي أنه ينبغي للانصاف أن نقر أن هذا التشعيب والانتقاء الاجتماعي في نظام التعليم الكوبي ليس في شدة أو حدة التشعيب والانتقاء في نظم التعليم في المجتمعات الرأسمالية. وما يقلل من حدة مسألة التشعيب والانتقاء في التعليم الكوبي هو ذلك الاتجاه القوي في التوسع في التعليم الجامعي وتعميمه الأمر الذي يهيىء فرص الالتحاق الواسعة بالجامعة أمام خريجي المدارس المختلفة الاكاديمية والفنية - كل في تخصصه. هذا فضلا عما تلعبه كليات العمال والفلاحين من دور هام في تخفيف الأبعاد الطبقية لمسألة التشعيب والانتقاء لكنها - في النهاية - تشعيب وانتقاء علي أي حال - وينبغي أن يزولا دفعا للجهود الثورية في سعيها الي اقامة المجتمع اللاطبقي.

*التناقض الثاني: الفردية في مقابل الجماعية:*

مرة أخري، أن زيادة الاهتمام بالتكنولوجيا المتقدمة قد أدي الي زيادة الاهتمام بعملية استيعاب العلم والتكنولوجيا بل الاسراع فيها وهذا بدوره أفضي الي الاتجاه نحو عملية التعلم الفردية داخل الفصل الدراسي الأمر الذي استدعي عناصر العملية التربوية

التقليدية القديمة في كثير من المواقف التعليمية. وقد كان ذلك واضحا في خطاب وزير التربية والتعليم الكوبي حيث أكد علي الاهتمام بالفرد في العملية التعليمية (في مقابل الجماعية) والاهتمام بالجانب المعرفي الأكاديمي للتلميذ (في مقابل بناء الوعي الجماعي للانسان الجديد) (Bowles 1971: 499).

ولا يستطيع أحد أن يقلل بالطبع من أهمية الجانب المعرفي كما لا يستطيع أحد أن يلغي دور الفصل الدراسي في العملية التعليمية ( في مقابل الأنشطة الجماعية خارج الفصل الدراسي وجدران المدرسة ) ، والاهتمام بالمعرفة ومايتبعها من الاهتمام بالفصل الدراسي والاهتمام بتفريد التعليم Individualization لا تتناقض بذاتها مع التوجه الاشتراكي في المجتمع فالخطورة ليست في هذه الاهتمامات نفسها – لكن الخطورة تكمن فيما تثيره – هذه الاهتمامات وما تبتعثه من عناصر تربوية تقليدية فهذه الاهتمامات الثلاثة اذا ما بعدت عن الاطار الايديولوجي الجديد، واذا ما بعدت عن مفهوم التعبئة والمشاركة الجماهيرية، فسوف تبتعد بالعملية التعليمية عن مفهوم العمل وعن المشاركة الجماعية في العمل الانتاجي والاجتماعي. ومن ثم نري التربية وقد صارت متمركزة في الفصل الدراسي وقائمة علي الحفظ والاستظهار، ومتقومة بالفردية Individualism في الدراسة والتقويم. وليس ذلك فحسب، فالاهتمام بالمعرفة في اطار تربية تتقوم بالفردية مسألة تعزز من الثنائية والتشعيب في جسم التعليم وترسي دعائم تعليم نخبوي Elitist في مقابل تعليم عملي تقني شعبي – وهو التناقض الذي ناقشناه سابقا.

وتزداد المسألة صعوبة اذا ما ارتبطت الفردية بالحافز المادي

وهو التناقض الناشيء الذي سنتناوله فيما بعد. حينئذ تصبح المشكلة أكثر تعقيدا. لكن ثمة حلولا لهذا التناقض تكمن جميعها في مزيد من المشاركة في العمل الانتاجي والانشطة الجماعية خارج جدران الفصل الدراسي ، وخارج جدران المدرسة نفسها.

وقد نجحت القيادة الكوبية في معالجة تناقض الفردية وما يرتبط به من نخبوية في التعليم العالي الجامعي. فالتعليم الجامعي بحكم هدفه وبنيته التقليدية ينطوي بالضرورة علي أبعاد فردية نخبوية بالضرورة Elitism فما الذي فعلته القيادة الكوبية لحل هذا التناقض؟

ان اهتمام القيادة الكوبية تحت ضغط النمو الاقتصادي اتجه بالتعليم الجامعي في نفس الوقت اتجاها اجتماعيا نحو زيادة الانتقاء الاجتماعي للنخبة Elite في كوبا. وقد كانت القيادة واعية بهذا التناقض منذ البداية وثمة اصلاحات ساهمت في حل هذا التناقض في اطار الايديولوجية الثورية للثورة الكوبية. ومن هذه الاصلاحات انشاء كليات العمال والفلاحين، وكذلك وجود شروط سياسية الي جانب الشروط الاكاديمية لدخول الجامعة مثل، شرط خدمة الريف أو التفوق في العمل الجماعي الانتاجي الخ. ومن هذه الاصلاحات أيضا التي ساهمت في الحد من ظهور النزعة النخبوية في التعليم الجامعي تلك الاصلاحات التي قامت علي دمج النشاط الاكاديمي داخل الجامعة بالعمل الانتاجي خارج المجتمع وهو ما سنتناوله في النقطة التالية. وهذه الاصلاحات جميعها تشكل عوامل بنيوية تقضي علي، أو علي الأقل تحد من تكوين، القيم والاتجاهات البرجوازية بين الخريجين. وثمة عاملا آخر وهاما يحد من البعد

النخبوي Elitism للجامعة - فضلا علي ما سبق - وهو التوسع في توفير فرصة التعليم الجامعي للجميع. ويشرح ذلك "هيوتو" و"ليترو" بقوله:

> "ان تعميم الجامعة لا ينطوي فقط علي تعميم المعرفة ونشرها بين الجماهير، بل هو في ذاته تغير راديكالي في شكلها ووظيفتها الاجتماعية - ذلك أن تعميم الجامعة فيه قضاء - في نفس الوقت - علي المفهوم النخبوي للجامعة (Quoted in Carnoy 1979: 110).

*ثالثا: الحافز المادي في مقابل الحافز الأخلاقي.*

لقد لاحظنا أن التوسع في التعليم في كوبا قد تتطلب نفقات كبيرة حتي وصل معدل الانفاق علي التعليم هناك الي ما يزيد عن ١٢٪ من مجمل الدخل القومي GNP وحدث ذلك التوسع في كل مجال من مجالات الخدمات الانسانية والاجتماعية كما هو واضح بالجدول الاحصائي (جدول رقم ١). ولم يكن للثورة الكوبية بالطبع أن توفر مثل هذه النفقات الا بالاستناد الي عاملين أساسيين أحدهما لا يكفي وحده: الأول هو اعادة توزيع الثروة والسيطرة علي وسائل الانتاج. وقد تم ذلك بالفعل من خلال حركة التأميم الشاملة وتحقيق الاصلاح الزراعي واعادة شكل الملكية. أما العامل الثاني فهو التوجه القومي العام نحو تخفيف الاستهلاك وتوفير مدخرات اجبارية تذهب الي عملية التنمية، وذلك من خلال الاعتماد علي حوافز جديدة - أخلاقية ايديولوجية غير مادية. لكن وجود مثل هذه الحوافز، ونجاح

هذا التوجه العام مرتبط بوجود الانسان الاشتراكي الواعي الذي يضحي من أجل بناء مجتمع المساواة والحرية الجديد ويشارك في بنائه لكل الوسائل لكن المشكلة هو أن هذا الانسان الجديد لم يتكون بعد. فكيف - اذن - يقوم الاقتصاد علي قيم جديدة وتوجهات جديدة لم توجد بعد ؟ (Dahlman 1973: 127). وكانت هذه مشكلة حادة في الاقتصاد الكوبي. وقد أعطت فرصة موضوعية للقوي التكنوقراطية - السابق الحديث عنها - في تدعيم علاقاتها الهيراركية وتسييد فكرتها عن الحافز المادي المبني علي نظام الأجور التقليدي - وتدعمت فكرة الحافز المادي أكثر عندما هبطت معدلات الانتاج في منتصف الستينات. واستدعت فكرة الحافز المادي فكرة الكفاية Efficiency. ونشأت اهتمامات جديدة داخل المجال الاقتصادي تتجه الي الحافز المادي وتحقيق الكفاية أكثر من اتجاهها الي الوعي الجماعي، والمساواة الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا انتصر الاقتصاد علي الايديولوجية (N.P. Valds 1972: 438) فماذا عن التربية ؟

كان من الطبيعي أن ينعكس ذلك كله داخل النظام التعليمي الكوبي في شكل ممارسات وسياسات وعناصر بنيوية، بعضها جديد وبعضها ابتعث من الماضي أو هو من بقايا الماضي، تعمل علي تدعيم فكرة الحافز المادي داخل التربية وارساء اتجاه الكفاية داخل مدارس الريف علي وجه التحديد. وقد لاحظ بولز أن ثمة عناصر بنيوية مازالت تقاوم القيم والاتجاهات والسلوكيات الجديدة التي تتجه اليها عملية التطبيع الاجتماعي والسياسي القائمة علي التعبئة والايديولوجيا الثورية. ومن هذه العناصر البنيوية، بنية الثواب

والعقاب المتمثلة في الامتحانات وأساليب التقييم القديمة التي مازالت خارجة عن العملية التعليمية نفسها External reward system، فهي غالبا ما تشبه الأجور وتتناظر مع الحافز المادي الرأسمالي في بنية الاقتصاد الكوبي الاشتراكي (S. Bowles 1971:497). كذلك لاحظ بولز وجود ممارسات سلطوية authoritarian داخل الفصل الدراسي تؤكد التمركز حول المدرس وحجرة الدراسة وتقلص من فرص المشاركة اليومية أمام التلاميذ في بناء العملية التربوية والتخطيط لها، ومن ثم توجيه مصائرهم (Ibid.).

وتتضح كذلك زيادة التوجه الي الكفاية والاهتمام بها - أكثر من الاهتمام بالمساواة أو تشكيل الوعي أو التعبئة - في تلك الاتجاهات التي بدأت تنظر الي مدارس الريف كمشاريع استثمارية مربحة. وتقيس نجاح هذه المدارس، وغيرها من المدارس التقنية أو الداخلية، بما تحققه من أرباح وبما تنتجه من منتجات. وهنا مرة ثانية سيتغلب الاقتصاد علي الايديولوجي في مجال التربية.

ان ما يجعل لمدرسة الريف وللتجارب التربوية التي تمت في كوبا للربط بين التربية والانتاج من قيمة وأهميةفي الثورة الكوبية ليس فيما ينتجه التلاميذ من قيمة مادية في حد ذاتها، ان أهمية هذه التجارب للثورة الكوبية انما تكمن فيما تتيحه - هذه التجارب - من تفاعل دينامي بين الايديولوجية والتعبئة الجماهيرية يشكل أساسا تربويا فعالا في خلق (تطبيع) الانسان الاشتراكي الجديد، القادر علي المشاركة الفعلية في عملية التغير الثقافي والاجتماعي في المجتمع - أي القادر علي بناء المجتمع الجديد وتحمل مسئولياته.

وقد لاحظ كارنوي أن تجربة مدارس الريف تجربة

يسهل نقلها الي كثير من بلدان العالم الثالث، لفائدتها فيما توفره من نفقات وفيما تحققه من استثمارات تخفف من عبء انشاء المدارس في العالم الثالث. لكن سيظل الفرق واضحا بين المدرسة في الريف في العالم الثالث والمدرسة في الريف في كوبا. فهي في الحالة الأولي سوف تدار بطريقة الكفاية والحافز المادي وسيكون ذلك هو الهدف وبالتالي سوف تساهم في تدعيم الهيراركي التربوي في هذه البلدان وسوف تكون في مرتبة أقل من التعليم العام الاكاديمي أما في كوبا، فان هذه المدارس في اطار العلاقات الاشتراكية فانها تهدف الي القضاء علي الفجوة بين شباب الحضر والريف، وبين القرية والمدينة، وبين التربية والعمل، بين المدرس والتلميذ، وبين المدرس والتلميذ وبين العامل والفلاح.... الخ. أن الهدف من وراء هذه المدارس في كوبا هو التعبئة وبناء انسان جديد وثقافة جديدة.

معني ذلك أن التوجه الي الكفاية والربح والحافز المادي في ادارة التجارب التربوية المرتبطة بالانتاج في كوبا سوف يفرغ التجربة من محتواها الثوري أي من التفاعل بين الايديولوجية والتعبئة الجماهيرية لخلق انسان جديد وثقافة جديدة.

*التناقضات الي أين؟*

مازال يعتقد الكثيرون من دارسي الثورة الكوبية في قدرة المجتمع الكوبي علي حل وازالة هذه التناقضات وغيرها من تناقضات البناء الاشتراكي. وأساس هذا الاعتقاد قائم علي مدي حركة التعبئة الجماهيرية والمشاركة الشعبية في المجتمع الكوبي. فحركة نشاط المنظمات الشعبية الجماهيرية والطلابية، والمنظمات

النقابية، والمشاركة في الادارة وتحمل المسئولية وبرامج الانتاج الجماعي، والمباريات الاشتراكية، وجماهيرية الحزب الشيوعي، كل ذلك التواجد الجماهيري، قد اوجد فرصا بنيوية لدفع اتجاهات صنع القرار في المجتمع الكوبي نحو الديمقراطية واللامركزية. مما جعل التجربة الكوبية أكثر ديمقراطية ولامركزية ومشاركة جماهيرية من أي بلد في أوربا الاشتراكية (MacEwan, 1975 & Zimpalist, 1975: 20) وتواجد الجماهير هو الضمان للتصحيح الايديولوجي وحل التناقضات المنبثقة خلال عملية النضال اليومي المستمر.

لكن يبدو أن هناك من يتخوف من الضغوط الخارجية السوفيتية علي التجربة الكوبية، في دفع كوبا الي الاقتراب من تجربة البلدان الاشتراكية في أوربا الشرقية، والاهتداء بها وذلك من خلال دفع القيادة الكوبية الي التركيز علي عنصر الكفاية Efficiency في ادارة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية في المجتمع. ويستتبع ذلك بالطبع تدعيم عمليات الانتقاء الاجتماعي، والحافز المادي، والفردية في بنية علاقات العمل الاجتماعية. وهذا معناه بعبارة أخري، حل التناقضات لصالح التكنوقراطيين والبيروقراطيين في المجتمع الاشتراكي الجديد. (G.Allen, 1974: 54, Mesa-Lago, 1978: 10 & Carnoy, 1979: 130)

ويقول ماكوان معبرا عن ذلك بقوله:

"يبدو أنه رغم المساعدات الهائلة التي قدمها الاتحاد السوفيتي الي كوبا، والتي بدونها كان يتعذر علي كوبا أن تقاوم وتصمد فان علاقة الاتحاد السوفيتي

بكوبا كانت عاملا قويا في الضغط علي الثورة الكوبية في التخلي عن نموذج الحافز الجمعي والأخذ بنموذج الحافز المادي في ادارة الأنشطة الانتاجية المختلفة (MacEwan 1975: 49).

ـ فالي أي حد يستطيع المجتمع الكوبي أن يفلت من هذه الضغوط الاقتصادية؟ والي أي حد يستطيع كذلك أن يفلت من الضغوط الخارجية؟ ان هذا هو التحدي القائم الذي يواجه تجربة الثورة الكوبية في مرحلة استقرارها الاجتماعي الآن. ورغم اختلاف الكثيرين حول امكانية كوبا في مواجهة هدا التحدي، فان الثورة الكوبية قد حققت خطوات ملموسة ناجحة في تحرير الانسان والمجتمع وقد نجحت كذلك في تقديم نموذج جديد للاصلاح التربوي قادر علي المساهمة الفعالة في انجاز أهداف الثورة الثلاثة: تحقيق المساواة واطلاق طاقات الانسان، التخلص من التبعية السياسية للقوي الامبريالية والقوي الاقتصادية الرأسمالية، انجاز تنمية اقتصادية فعالة.